ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 37 - العدد 1078 - الجمعة 6 جمادى الثانية 1425 هـ - الموافق 23 يوليوز 2004

بسم الله الرحمن الرحيم

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

صدق الله العظيم

العلم الإلهي الثالث : علم الأرحام

القطع والظن عند الأصوليين

أسرار الرسم في المصحف الشريف

رسالة خطبة الجمعة التربوية

لا تقدم ولا ازدهار بدون عدل وأمن واستقرار

إن نشر العدل في كل شيء يورث اطمئنان النفوس وتنشرح له الصدور، فبالعدل تستقيم أحوال الناس ويكثر التواصل بينها، وبه يقوى عامل الثقة بين شرائح المجتمعات، ومن طبقه في نفسه وبلده وبين إخوانه من القادة والشعوب يعطيه أكبر مردودية تدفع به وبأمته لمقام التقدم والكمال، فالبلد الذي يحترم فيه العدل بين الناس بكل شفافية ويطبق الحق ويناهض الظلم ولا يركن لأهله... تتسابق إليه الدول لربط العلاقات معه في شتى مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والأمنية، كما أن أصحاب رؤوس الأموال يبحثون على استثمار أموالهم عند البلد المعروف باستقامة أهله ونزاهة مسؤوليه وعدالة محاكمه... وصدق معاملة ساكنيه (فالدين المعاملة) وترى العالم الواعي الكفء في أي فن من الفنون النافعة دينا ودنيا... يوظف علمه وينشره وينفع به في البلد المعروف باستقراره وانتشار الأمن فيه وعدم الظلم بين ذويه، والعامل البسيط الذي يواجه الحياة بعرق جبينه لتحصيل قوت يومه يتوجه ونفسه مطمئنة للمكان الذي لا حيف فيه ولا تطاول على حق الآخرين... إذا فالعدل مجلبة لكل خير من الدول والشعوب والأفراد على مختلف طبقاتها ومدفعة لكل ضير من أي كان، والعدل كما قيل أساس الملك والباب الذي يلج معه التقدم والازدهار للأمم والشعوب وقد حرص الإسلام كل الحرص على رعاية الحقوق فحظر أكل أموال الناس بغير حق، قال تعالى: "ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون" سورة البقرة الآية:88، كما حذر ديننا الإسلامي من قول الزور، قال تعالى: 'واجتنبوا قول الزور' وحرم كتم الشهادة ليلا يقع تدليس يراد منه إخفاء الحقيقة، قال تعالى: 'ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه' فلا مكان في الإسلام للظلم والاعتداء على الغير والمس بحقوق الآخرين كيفما كان ميولهم وكيفما كانت عقيدتهم ونحلتهم وكيفما كان اقتناعهم، فالإسلام جاء لنشر العدل وتحريم الظلم الذي حرمه الله على نفسه وعلى خلقه ومنع على من يعتنقه أن يؤاخذ الآخرين من أي قوم كان بالدعاية وبالنبإ المجرد حتى يقع التبين الكامل وتتوفر الحجة التي لا تقبل الطعن، قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين".

وهكذا فكل ما يزعزع الأمن ويحدث اهتزازا في استقرار النفوس فالإسلام يناهضه ويدعو لاجتنابه، ولا يقره شرع ولا تقبله عدالة لأنه هو الظلم بعينه، قال عليه الصلاة والسلام: (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإنه أهلك من قبلكم)، أخرجه مسلم، فلتحقيق السلم لابد أن نحافظ على أمور خمسة وهي: الدين، والنفس، والمال، والعقل، والنسل.

فبرعاية هاته العناصر الخمسة يستقيم سير الإنسان، قال تعالى: "لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي"، والنفس أكرمها الله وحرم الاعتداء عليها بأي نوع من أنواع الإذاية ومن قتلها فكأنما قتل الناس جميعا، كما يمنع الإسلام سب الإنسان وقذفه، قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون" سورة الحجرات الآية 11، فحمى الإسلام حرية الرأي وحرية الفكر في إطار احترام الرأي الآخر وعدم المس من أي كان تكريما للإنسان وتعظيما له واعتبارا لحقه واحتراما لعرضه... ويدعو الإسلام لتوفير الاستقرار في شتى مظاهر الحياة، ولتحقيق هذا الهدف السامي كرس الإسلام الجهد للمحافظة على العقل البشري، كما وجه لتربية النشء تربية صالحة تجعله كامل الأهلية وتصوغ منه عضوا نافعا يعطي لأمته وللإنسانية أحسن مردودية تساهم في بناء المجتمع ماديا ومعنويا وذلك لا يمكن توفيره إلا بالعقل السليم والمحافظة عليه من أي مؤثر، فمن أصيب في عقله يكون آفة على مجتمعه فأوجب الشارع المحافظة على العقل ومن أجل ذلك عاقبت الشريعة من يشرب الخمر حفاظا على النفس والمال والعقل كما عاقبت من يتناول أي مخدر من المخدرات ليبقى الإنسان متوازنا في عقله وفي هذا التحريم لكل مسكر مصلحة للإنسان وتكريم له وليبقى محترما بين فصائل أمته...

وبدون السهر على تعليم النشء وتقويم سلوكه وتنمية مواهبه وتشجيع روح الخلق والإبداع في شخصيته لا يمكن لأي أمة أن تنهض وتتقدم وتفرض حضورها بين الأمم الراقية... قال الإمام الغزالي في كتابه المستصفى: (إن جلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الخلق، وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم، لكنا نعني بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع ومقصود الشرع من الخلق خمسة وهو: أن يحفظ عليهم دينهم، وأنفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة وكل ما يفوت هذه الأصول الخمسة فهو مفسدة ودفعها مصلحة) ولا يمكن تحقيق ما تتقدم الأمم به إلا بالحفاظ على ما ذكرنا، ولا يخفى أن الشرع جاء لمصلحة الإنسان وقمة مصلحة الكل هو في إقامة العدل بين الناس ونشر السلم والمحبة والاستقرار في ظل المشروعية والقانون قال أبو نعيم: (والوالي إذ أنصف الضعيف من القوي رافق النبيين في أعلا عليين) قال عليه الصلاة والسلام: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته...).

والإسلام يحث على العدل والرفق بالإنسانية لما في ذلك من تحقيق المصلحة العامة وتثبيت الاستقرار وتوطيد الأمن الذي بهما يتحقق تقدم الأمم وازدهارها قال عليه الصلاة والسلام: (من ولي أمر أمتي رزق المحبة، وإذا عدل زيد في عمره، وإذا أنصف الضعيف من القوي كان معي في الجنة) وأشار عليه الصلاة والسلام بأصبعيه السبابة والوسطى، قال عليه الصلاة والسلام: (يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة، وحد يقام في الأرض أزكى فيها من قطر أربعين يوما). وهكذا فالعدل أساس الملك وسبيل مستقيم يوصل من سلكه لسعادة الدارين... وفقنا الله لما يرضيه وسلك بعباده طريق الخير والنجاة والأمن والاستقرار إنه سميع مجيب.

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

العدل والعدالة في التوجيه الديني

العدل القضائي في الإسلام

-19-

في هذا العدد من الجريدة نصل إلى التوجيه الثالث في الرسالة العمرية المتعلقة بمنهج القضاء الإسلامي والتي جاءت بمناسبة تعيين أبي موسى الأشعري قاضيا بالبصرة نيابة عن الخليفة الثاني لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد رأينا في التوجيه الأول الرؤية الإسلامية للسلطة القضائية 'القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة' وفي التوجيه الثاني وجدنا سيدنا عمر يخطط للقاضي بداية الممارسة الفعلية 'فافهم إذا أدلى إليك' واسي بين الناس في وجهك ومجلسك وعدلك'.

وفي التوجيه الثالث الذي نصل إليه اليوم يخاطب الخليفة الثاني لرسول الله صلى الله عليه وسلم الأطراف الخصوم الذين يلجؤون إلى القضاء مطالبين بحق عيني أو شخصي فيقول لهم : 'البينة على المدعي واليمين علي من أنكر'

البينة كلمة وردت في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، منها قوله تعالى : "لقد أرسلنا رسلنا بالبينات' الآية:25 من سورة الحديد، وقوله تعالى :'قل إني على بينة من ربي' الآية:57 من سورة الأنعام، وقوله : 'أم آتيناهم كتابا فهم على بينات منه' الآية:40 من سورة فاطر.

ومن الأحاديث المشهورة قول الرسول صلى الله عليه وسلم 'البينة على المدعي واليمين على من أنكر' وهو نفس اللفظ الذي أورده سيدنا عمر رضي الله عنه ومنها قول الرسول عليه الصلاة والسلام للمدعي 'ألك بينة' وورود اللفظ في الحوار الاجتماعي يشير إلى إثبات مايقال بحجة كتابية أو شفوية نقلية أو عقلية، والبينة اسم لكل مايبين الحق وهي أعم من البينة في اصطلاح الفقهاء وهي الشاهدين أو الشاهد واليمين.

ويمكن إرجاع قاعدة 'البينة على المدعي' إلى الآية القرآنية الواردة في سورة البقرة رقم:111 "قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين' كما أن القاعدة الفقهية الثانية وهي 'اليمين على من أنكر' يمكن ارجاعها إلى قوله تعالى في سورة الأنعام الآية:23 "والله ربنا ماكنا مشركين" عندما أقسم هؤلاء على أنهم ماكانوا مشركين في محاولة إبراء أنفسهم من الكفر، فقدموا الحجة على أساس يمين الانكار.

ويمكن في ميدان القضاء استعمال المفهوم العام للبينة والرجوع إلى المعنى اللغوي الأصلي للكلمة فنقول بأن البينة كل وسيلة تبين الحق وتثبته سواء كانت كتابية أو شفوية صريحة أو ضمنية بل يمكن أن نصل في بعض الأحيان إلى القرائن لنكتشف منها طريقا للعدل والحق، وبذلك نستعمل المفهوم الواسع للبينة، وهنا تبقى الجملة الأولى التي خاطب فيها سيدنا عمر القاضي لها دلالتها الواسطة 'فافهم إذا أدلى إليك' لأن دائرة الفهم يجب أن تتسع لتشمل كل مايبين طريق الحق ولو ظاهريا فقط، لأن القاضي وهو يفصل بين اثنين ليس مطلوبا منه أن يصل إلى عين الحق، ولكن المطلوب أن يبني حكمه على حجة، وهنا تجد الرسول صلى الله عليه وسلم يوضح هذا الأمر بكيفية صريحة ففي كتب الصحاح السنة والموطأ أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال 'إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي، فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ماأسمع منه، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذن منه شيئا، فإنما أقطع له قطعة من النار'..

الأستاذ أحمد أفزاز

النائب الثاني للأمين العام - رئيس غرفة بالمجلس الأعلى شرية

تتمة في الصفحة 2

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

التجيبي يتحدث عن المعلى

■ إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

■ بعد أن حدثنا التجيبي عن قصة ركانة بطل المصارعة المكي القرشي، وذكر أنه انهزم أمام الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن الرسول صرعه وبطش به مرتين، ومع ذلك ظل عنيدا ولم يسلم إلا بعد فتح مكة، وحكى عن ابنه يزيد بن ركانه، وعن حفيده علي بن يزيد بن ركانه، الذي صرع يزيد بن معاوية وغلبه في المصارعة وأخجله، وكان يزيد بن معاوية من الأقوياء الأشداء، وحكى كذلك عن البطل المصارع أبي الأشُدَيْن كِلدَة الجمحي وعن قوته العجيبة، وأن كلدة هذا دعا النبي (ﷺ) للمصارعة، وقال له إن صرعتني آمنت بك، فصرعه صلى الله عليه وسلم مرارا فلم يؤمن... أتى التجيبي رحمه الله بهذه الحكايات وهو يتحدث عن المعلى، ويقول: هي مقبرة معروفة بالبركة، وأنه صلى الله عليه وسلم قال: نعم المقبرة هذه، وذكر أن قريشا كانت تدفن في مواضع شتى، ولما قال النبي (ﷺ)في مقبرة المعلى ماقاله أخذ الناس يدفنون بها، وروى بسنده عن يحيى بن محمد بن عبد الله بن صيفي أنه قال: "بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من يُقبَرُ في مَقبَرَةِ مكة بالمعلى يبعث آمنا يوم القيامة" وحكى بعض الكرامات إلى أن قال: خرجنا لزيارة هذه المقبرة المباركة مع بعض صلحاء المجاورين، نفع الله بهم، وأعاد علينا من بركتهم، وعاينا بها من القبور مالايحصيه إلا خالقهم الذي أماتهم وهو يحييهم، وقد احتوت المقبرة المعظمة على جملة من الصحابة رضي الله عنهم ومن التابعين والفضلاء والصالحين والعلماء العاملين رحمة الله عليهم أجمعين، ولكن قد درست أكثر مشاهدهم المباركة، وذهبت عمن أدركنا أسماؤهم من المكيين، ومابقي يعرف من ذلك إلا النزْرُاليسيرُ. فمما عايناه في المقبرة الموضع الشهير الذي صلب فيه عدو الله الحجاج بن يوسف جازاه الله، جثة عبد الله بن الزبير، رضي الله عنهما، الذي وصفه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فقال: أما أبوه فحواري النبي صلى الله عليه وسلم، يريد الزبير، وأما جده فصاحب الغار، يريد أبا بكر، وأما أمه فذات النطاقين، يريد أسماء، وأما خالته فام المؤمنين، يريد عائشة رضي الله عنها، وأما عمته فزوج النبي صلى الله عليه وسلم، يريد خديجة رضي الله عنها، وأما عمة النبي صلى الله عليه وسلم فجدته، يريد صفية، ثم عفيف في الإسلام، قارئ للقرآن، قلت. أي التجيبي. وهو أول مولود ولد في الإسلام للمهاجرين رضي الله عنهم، بعد الهجرة الكريمة... وأذن أبو بكر الصديق رضي الله عنه في أذنه، وحنكه رسول الله صلى الله عليه سلم بتمر، وتفل في فيه، فكان اول شيء دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد بني في هذا الموضع سد بالجيار، وكتب عليه: هذا طلب الحجاج بن يوسف عبد الله بن الزبير، رضي الله عنه، وكان ذلك في سنة ثلاث وسبعين للهجرة..."

ويسترسل التجيبي في ذكر مناقب عبد الله بن الزبير وينقل بسنده ماقيل في ذلك إلى أن يقول: وعاينا أيضا في هذه المقبرة المباركة شعبا ذكر لنا أن به قبر أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وكانت وفاتها على الأصح قبل الهجرة الكريمة بثلاث سنين، وقيل بل توفيت قبلها بخمس سنين، وقبل بأربع، وليس لها بالشعب قبر ظاهر، ولكنهم يقولون أنها به، والله تعالى أعلم...

. هذا وقد رأيت في السنوات الأخيرة إخواننا الإيرانيين والايرانيات يجتمعون في هذا المكان، وينظمون مناحة يتولى أحدهم قراءة مناقب أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها بصوت جهير منغوم، يقف عند فقرات معينة، تقاطع بالبكاء والزفير والشهيق بصوت خفيض مسموع ومؤثر، ويستمر ذلك لفترة من الزمن قد تطول، وهم يصعدون إلى المعلى من أجل ذلك في جماعات أكثرها من النساء، ومن المعلوم أن مناقب أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها كثيرة وعديدة، وقد حزن النبي صلى الله عليه وسلم لموتها، وسمى عام موتها، وموت عمه ابي طالب عام الحزن، وكان صلى الله عليه وسلم يردد مكارمها، وفضائلها، وطيب أخلاقها بعد موتها، إلى درجة جعلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تغار من ذلك، كما هو مذكور في السيرة بتفصيل...

ويقول التجيبي بعد ذلك: "وعاينا بالمقبرة المذكورة قبر الزاهد أبي علي الفضيل بن عياض، بن مسعود التميمي اليربوعي رضي الله عنه، وقد نقش اسمه في لوح من حجر على قبره، وكانت وفاته بمكة شرفها الله تعالى في يوم عاشوراء من محرم سنة سبع وثمانين ومائة، وبإزاء هذا القبر قبر أبي محمد سفيان بن عيينة الهلالي، مولاهم المكي، رحمه الله تعالى، وقد كتب أيضا اسمه على قبره في لوح حجر، وكان مولده سنة سبع ومائة ومات يوم السبت غرة رجب سنة ثمان وتسعين ومائة، قال ابن أخيه الحسن بن عمران بن عيينة، قال لي عمي بجمع، آخر حجة حجها، قد وافيت هذا الموضع سبعين مرة، أقول في كل سنة اللهم لاتجلعه آخر العهد من هذا المكان، وإني قد استحييت الله من كثرة ما أساله ذلك، فرجع فتوفي في السنة الداخلة.

يقول التجيبي: وقرات في صفوة ابن الجوزي في المصطفين من اهل بغداد، أن أبا بكر أحمد بن علي. الزاهد الحنبلي. كان إذا حج يزور القبور بمكة، ويجيئ إلى قبر الفضيل بن عياض، ويخط بعصاه، ويقول: يارب هاهنا، يارب هاهنا، فاتفق أنه خرج للحج في سنة ثلاث وخمسمائة فشهد عرفة محرما، وتوفي عشية ذلك اليوم في أرض عرفات، فحمل إلى مكة، وطيف به حول البيت ودفن يوم النحر إلى جانب الفضيل بن عياض، رحمة الله عليهم اجمعين، ورايت أيضا بمقربة من قبر سفيان. ابن عيينة. قبرا قد كتب عليه في لوح حجر أيضا أنه قبر أبي القاسم القشيري رحمه الله، وجميع من رأيت ممن يعتد به من المكيين لايشكون في ذلك، ويقولون إنه قبره، والله تعالى أعلم. وأخبرنا العز أبو الفدا الصالحي وغيره كتابة عن الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الغني بن نقطة البغدادي رحمه الله أنه قال: إن أبا القاسم القشيري توفي سادس عشر من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وأربعمائة بنيسابور، وكذلك يقول كثير من العراقيين، والله أعلم بالصحيح من ذلك، ويحتمل أن يكون قد توفي بنيساربو، ونقل منها إلى مكة المشرفة، ودفن بها، على بعد ذلك وتعذره في الغالب، والله تعالى أعلم.

هكذا ينقلنا التجيبي رحمه الله إلى جو روحاني يجمع بين الصحابة وكبار العلماء والفضلاء والعباد والزهاد إلى جو يكون الرابط فيه بين هؤلاء جميعا قوة الإيمان والتقوى والمعرفة، فهم نماذج فريدة من أعلام أمتنا الإسلامية، في العلم والتصوف وحسن التربية والسلوك، ومن الملاحظات القيمة التي ذكرها: أن مقبرة المعلى التي يضم ترابها جماعة من الصحابة والتابعين وتابعيهم، قد انمحت أكثر مشاهدهم، وعلامات قبورهم، وأصبح كثير من المكيين الذين أدركهم التجيبي لايعرفون جل المقبورين بالمعلى، وهذا مما يؤسف له، سواء بالمعلى بمكة أو بمقبرة البقيع بالمدينة، وقد زاد الاندثار عما كان عليه على عهد التجيبي الذي استطاع أن يتعرف على عدد من قبور الصحابة والعلماء والفضلاء، وعرفنا بأصحابها وذكر تاريخ وفاتهم، ووقف وقفة طويلة عند المكان الذي صلب فيه الصحابي الجليل عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنه، وعند شعب أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، وعند غيرهما من الفضلاء والأخيار.

(تتمة ص:1)

هذا الحديث وهو صادر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينزل عليه الوحي يعطينا الدليل على أن البينة إذا كانت تثبت حقا لأحد، فقد يكون ذلك على خلاف الحقيقة وإن المدعى عليه لم يعرف كيفية مناقشة البينة وإظهار ما فيها من سلبيات تسقطها وتلغي صفتها، والقاضي يفترض فيه أن لاينوب عن الخصوم في إثبات الحقوق أو نفيها، وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم أمامه الحجة وهي غير صحيحة في الواقع ولكنها في الظاهر تبت موضوع الدعوى، فإن التوجيه النبوي يعيد الإنسان المسلم إلى السلوك الأخلاقي في جميع المعاملات حتى في التقاضي، فمن قضيت له بحق أخيه وحكمت لصالحه وهو يعلم أنه ظالم ولاحق له، وإن الحجة في باطنها غير مفيدة وإن الخصم لم يستطع مناقشتها بما يسقطها فحتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد يقضي بناء على حجة بحق هو في الحقيقة ليس لمن قضى له، ولهذا يعيد التوجيه النبوي الإنسان إلى أصله الإيماني والصدق في الادعاء حتى لايكون الحكم عبارة عن قطعة من النار يوم القيامة.

والحجة الشفوية التي تقدم أمام القضاء وهي الشهادة قد لا تكون لها القيمة الكاملة للاستدلال بها إلا إذا بلغت نصابا محددا من الشهود.

فقد ذكر الفقهاء أن مراتب الشهادات ستة

1. الشهود الأربعة، وهي حالة خاصة بالزنى التي يقول فيها الله تعالى:"والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم".

2. شهادة رجلين وهي تخص كل المعاملات والعلاقات الاجتماعية والتجارية وهي الصورة العامة للإشهاد على الحقوق.

3. شهادة رجل وامراتين، وخصصها الفقهاء بالأموال دون غيرها من الأمور كالزواج والطلاق والدماء.

4. شهادة امراتين وهي مقبولة في الأمور التي تقع ولايطلع عليها نظريا إلا النساء كالحمل والولادة والاستهلال وعيوب النساء، وإن كانت مهنة الطب والتقدم العلمي في الميدان قد يغني عن كثير من هذه الخصوصيات ، ولكنها مع ذلك شهادة المرأتين تبقى لها مكانتها في الأمور الخاصة.

5. شهادة رجل واحد مع يمين من كانت لصالحه، وهي خاصة بالمعاملات المالية وتعتبر الشهادة بداية الحجة تتمم باليمين.

6. شهادة امراتين تتمها يمين المدعي في الأموال بصفة خاصة.

وفي جميع الأحوال فإن الشاهد أمام القضاء لكي يكون لكلامه الآثار التي تتعلق بالحقوق إثباتا أو نفيا، يجب أن لايكون معرضا للتجريح بصفة من الصفات تفقد العدالة العامة أو الخاصة، أو وجود قرابة بينه وبين الشهود له، أو عداوة مع المشهود عليه، وقد أشارت الرسالة العمرية إلى بعض أسباب رفض بعض الشهود عندما نصت على أن المسلمين عدولا بعضهم على بعض إلا مجلودا في حد او مجربا في شهادة زور، أو ظنينا في ولاء أو قرابة فهؤلاء تكون الجرحة ثابتة في حقهم ولاتقبل شهادتهم أمام القضاء وقد ذكر الفقهاء أن الشهود لابد أن تتم فيهم الشروط السبعة وهي: الإسلام، والعقل، والبلوغ والحرية، والتيقظ (انتفاء الغفلة) والعدالة وعدم التهمة، ونتابع الحديث في العدد المقبل إن شاء الله.

الوثاق

تقييد في متولي القضاء والفتوى والشهادة

للشيخ العلامة خاتمة المحققين أبي عبد الله سيدي محمد بن المرحوم سيدي المدني كنون رحمه الله (ت فاتح ذي الحجة 1302 هـ)

■ الأستاذ : إدريس كـــرم

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله سريع الحساب ، المان بإلهام الصواب، والصلاة والسلام على أفضل من أوتي الحكمة وفصل الخطاب، وعلى آله وأصحابه الأتقياء الإنجاب، عدد خلق الله بدوام الله رب الأرباب،

وبعد فقد ورد العلم خزائن ومفتاحها السؤال، فسلوا رحمكم الله، فإنه يوجر فيه أربعة، السائل، والمعلم، والمستمع، والمحب لهم، وورد ما أهدى مسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة حكمة يزيده الله بها هدي، أو يرده عن ردى، وإني لمعترف بقصر باعي، وقلة اطلاعي، فبالله عليكم هل تعلمون فيمن تقدم أو تاخر، ومن يعتبر لتقواه أو لا يعتبر، من كان يتعاطى فصل النوازل مع الإفتاء فيها، ولا أظن أحدا الا يكون عن ذلك نزيها بل الذي يظهر لعقلي القاصر، وفهمي الفاتر، أنه لو اجمع على جواز ذلك فيما تقدم من الاعصار الكثيرة الصدق والإنصاف والزهد والتجرد والأنوار لم يجوزه اليوم احد من أولى الابصار، لضد المذكورات وغير ذلك من الأشرار، كنصب حبائل الرشى والمداهنة والاضرار، كما لا يخفى على أولى الانظار حتى قال في المدخل عن صاحب كتاب الأنوار، إنا لله وإنا إليه راجعون على موت الأخيار، والبقاء مع قوم لا يستحيون من فضيحة ولا عار هـ

انشد لبعض الأدباء الأبرار:

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم * * * والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزكي بعضهم * * * بعضا ليدفع معور عن معور
ابني ان من الرجال بهيمة * * * في صورة الرجل السميع المبصر
فطن بكل مصيبة في مال * * * فإذا أصيب بدينه لم يشعر
فسل اللبيب تكن لبيبا مثله * * * من يسع في علم باب يظفر

الحلقة الخامسة

... وسئل ابن رشد أيضا هل يجوز أن يستفتي من قرأ الكتب المستعملة كالمدونة والعتبية من دون رواية، والكتب المتأخرة التي لا توجد فيها رواية أم لا فقال من قرأ الكتب التي ذكرت وتفقه فيها على الشيوخ وفهم معانيها وعرف الاصول التي بنيت عليها مسائلها من الكتاب والسنة والاجماع، وأحكم وجه النظر والقياس، ولم يخف عليه ناسخ القرآن من منسوخه، ولا سقيم السنة من صحيحها، إذا نظر فيها وكان معه من اللسان العربي ما يفهم به معنى الخطاب، جاز أن يستفتى فيما ينزل من النوازل التي لا نص فيها، فيفتي فيها باجتهاده، ومن لم يلحق بهذه الدرجة فلا يصح ان يستفتى في المجتهدات التي لا نص فيها، ولا يجوز له أن يفتي برأيه في شيء منها إلا أن يخبر برواية عن عالم فيقلد فيما يخبر به من صحة نقلها عنه وإن لم يتفقه فيما قرأ فلا يجوز أن يفتي ولا أن يحل أن يفتي.

•••

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله لا يقبض العلم انتزاعا، ولكن يقبض العلماء، حتى لا يبقى عالم فإذا كان ذلك اتخذ الناس رؤساء جهالا فافتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا، وقد أدركنا هذا الزمان وبالله التوفيق هـ، انظر تمام كلامه في ابن سلمون والحطاب.

•••

وقال القرافي ما حاصله لمن حفظ روايات المذهب وعلم مطلقها ومقيدها وعامها وخاصها أن يفتي بمحفوظه منها، وما ليس محفوظا له فيها، لا يجوز له تهريجه على محفوظه إلا أن حصل له علم أصول الفقه، وكتاب القياس وأقسامه وترجيحاته وشرائطه وموانعة، وإلا حرم عليه التخريج.

•••

قال وكثير من الناس يقدمون على التخريج دون هذه الشرائط، بل صار يفتي من لم يحط بالتقييدات ولا التخصيصات من منقول إمامه وذلك لعب وفسق، وشرط التخريج على قول إمامه أن يكون القول المخرج عليه ليس مخالفا لاجماع ولا نص ولا قياس جلي، لأن القياس عليه ح معصية وقول إمامه ذلك غير معصية، لأنه باجتهاد أخطأ فيه مجملا فلا يأثم وتحصيل حفظ القواعد الشرعية انما هو بالمبالغة في تحصيل مسائل الفقه بأصولها وأصول الفقه لا يفيد ذلك، ولذلك ألفت هذا الكتاب المسمى بالقواعد هـ، ابن عرفة.

•••

قوله ليس مخالفا لنص مالك في كتاب الجامع من العتبية وغيره على مخالفته نص الحديث الصحيح إذا كان العمل يخالفه، المازري ومن يفتي في هذا الزمان أقل حاله أن يكون مطلعا على روايات المذهب وتأويل المشايخ وتوجيههم ما اختلفت ظواهر بعضها مع بعض، وتشبيههم مسائل بمسائل، قد يسبق إلى الفهم تباعدها إلى غير ذلك مما بسطه الاشياخ بهذا لعدم المجتهد يقتصر على نقله هـ،

•••

نعم ذكر الامام ابو عبد الله سيدي محمد بن مرزوق في تاليفه المسمى تقرير الذيل الواضح المعلوم على جواز النسخ في كاغد الروم ما نصه:

القياس الممتنع من المقلد هو الذي ينشئ به حكما في واقعة بالقياس على أصل ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، وأما القياس المستعمل في إخراج جزءيات أو إلحاق حيلة بنظيرتها مما نص عليه المجتهد بعد اطلاع المقلد على ما أخذ إمامه فيها أو ترجيح قول من أقوال إمامه فلا يمتنع على المقلد.

انظر تمام كلامه وقد نقله في المعيار أواخر كتاب الطهارة وهذا هو مراد ابن عاشر بقوله العمل على جواز قول المقلد برأيه اجراء على القواعد وإلا بطلت فتاوى المتاخرين المشحونة بها كتب الاحكام هـ.

فلا ينافي ما نص عليه غير واحد أن المقلد لا يفتي إلا إن وجد النص في عين النازلة والله أعلم.

•••

وفي الخطاب عن ابن فرحون مانصه واعلم أنه لا يجوز للمفتي أن يتساهل في الفتوى ومن عرف بذلك لم يجز أن يستفتى، والتساهل قد يكون بأن لا يتثبت ويسرع بالفتوى أو الحكم قبل استيفاء حقه من النظر والفكر، وما يحمله على ذلك توهمه أن الإسراع براعة، والإبطاء عجز ولأن يبطئ ولا يخطئ أجمل به من أن يعجل فيضل ويضل، وقد يكون تساهله بأن تحمله الأغراض الفاسدة على تتبع الحيل المحظورة أو المكروهة بالتمسك بالشبه طلبا للحرص على من يروم نفعه، أو التغليظ على من يروم ضرره. قال ابن الصلاح ومن فعل ذلك فقد هان عليه دينه، قال وأما إذا صح قصد المفتي واحتسب في طلب حيلة لا شبهة فيها ولا تجر إلى مفسدة ليخلص بها المستفتي من ورطه بيمين ونحوها فذلك حسن جميل.

•••

قال الفرابي إذا كان في المسألة قولان أحدهما فيه تشديد والآخر فيه تساهل، فلا ينبغي للمفتي أن يفتي العامة بالتشديد، والخواص وولاة الأمر بالخفيف، وذلك قريب من الفسوق والخيانة في الدين والتلاعب بالمسلمين وذلك دليل فراغ لقلب من تعظيم الله تعالى وجلاله وتقواه وعمارته باللعب وحب الرياسة، والتقرب إلى الخلق دون الخالق، نعوذ بالله من صفات الغافلين، والحاكم كالمفتي في هذا هـ. منه.

•••

وفي جامع المعيار عن الشيخ أبي إسحاق الشاطبي رحمه الله ما نصه إذا عرض العامي نازلته على المفتي فهو قائل له أخرجني من هواي ودلني على اتباع الحق، فلا يمكن والحال هذه أن يقول له في مسألتك قولان فاختر لشهوتك أيهما شئت، فإن معنى هذا تحكيم الهوى دون الشرع، ولا ينجيه من هذا أن يقول ما فعلت إلا بقول عالم، لأنه حيلة من جملة الحيل التي نصبتها النفس وقاية عن القيل والقال، وشبكة لنيل الأغراض الدنيوية، وتسليط المفتي العامي على تحكيم الهوى بعد أن طلب منه إخراجه عن هواه رمي في عماية، وجهل بالشريعة، وغش في النصيحة هـ.

•••

وقال في روح البيان في تفسير قوله تعالى ليأكلون أموال الناس بالباطل ما نصه: يأخذونها لطريق الرشوة لتغيير الأحكام والشرائع والتخفيف والمسامحة فيها، ويوهمون الناس أنهم حذاق مهرة في تأويل الآية، وبيان مراد الله تعالى منها، يقول الفقير، وهكذا يفعل المفتون الماجنون والقضاة الحائرون في هذا الزمان، يفتون على مراد مستفتي طبعا لما له ويقضون بمرجوح الأقوال، بل على خلاف الشرع ويرون أن لهم في ذلك سندا قويا قاتلهم الله.

•••

وقال الإمام المازري في أثناء جواب له مذكور في آخر ترجمة نوازل الهبات والصدقات والعتق من المعيار ما نصه: ولست أحمل الناس على غير المعروف المشهور من مذهب مالك وأصحابه، لأن الورع قل، بل كاد يعدم، والتحفظ على الديانات كذلك وكثرت الشهوات وكثر من يدعي العلم ويتجاسر على الفتوى ولو فتح لهم باب مخالفة المذهب لاتسع الخرق على الراقع وهتكوا حجاب هيبة المذهب، وهذا من المفاسد التي لا خفاء بها وقوله ولو فتح لهم باب مخالفة لمذهب لخ قد يطلق المذهب على المشهور، ومنه استعمال اللفظ الكلي في أعظم أجزائه، وأهمها كالحج عرفة، وقد ذكر ابن فرحون في تبصرته وغيره أن المازري يذكر عنه انه بلغ مرتبة الاجتهاد وما أفتى بغير المشهور أي من مذهب مالك، مع طول عمره هـ، وقد شهد له ببلوغ هذه الرتبة تلميذه بالإجازة القاضي عياض في الغنية انظره فكيف بغيره ممن لم يشم راحة العلم وفي جامع المعيار من جواب لابن مرزوق ما نصه قال ابن عبد السلام شارح ابن الحاجب حاكيا عن المازري منذ سبعين سنة ما أدركت أشياخي إلا وهم يفتون بالمشهور، قال وهذه الطريقة عند من طالع أدبار سلف المالكية هي المتعينة هـ.

•••

وفي شرح الزقاقية للعلامة سيدي محمد بن عبد السلام بناني عن ابن خلدون للخليفة تصفح أهل العلم والتدريس ورد الفتوى إلى من هو أهل لها، وإعانته على ذلك ومنع من ليس أهلا لها وزجره، لأنها من مصالح المسلمين في أديانهم، فيجب عليه مراعاتها ليلا يتعرض لذلك من ليس بأهل، ثم قال على أنه ينبغي لكل واحد من المفتين والمدرسين زاجر من نفسه يمنعه من التصدي لما ليس له بأهل، ففي الأثر أجرؤكم على الفتوى أجراكم على جراثيم جهنم، فللسلاطين فيهم لذلك من النظر ما توجبه المصلحة من إجازة أورد هـ لخ.

•••

وقد قال إمامنا مالك رضي الله عنه كما في المدخل والتبصرة لا خير فيمن يرى نفسه أهلا للشيء، ولا يراه الناس، أي العلماء له أهلا هـ، وفي اختصار المتيطية ما نصه: وقال سحنون من اشترى كتب الفقه، ثم أفتى بها، ولم يعرضها على الفقهاء، أدب أدبا، وقال غيره ينهى عن ذلك، فإن لم ينته عوقب بالسوط.

•••

وقال ربيعة لبعض من يفتي هذا أحق بالسجن من السراق هـ، وفي نوازل المعيار في تعداد البدع في أثناء كلام في الذين يفتون بغير علم ما نصه، فإن فتنة هؤلاء في الأمة أشد ضررا من فتنة الجوع والخوف، ونهب الأموال والنفوس، وذلك أن من هلك هنالك فإلى رحمة الله، وكريم عفوه، ومن هلك دينه فإلى لعنة الله وعظيم سخطه، أعاذنا الله والمسلمين هـ.

•••

وقال الشيخ حلولوا في نوازل اختصار البرزلي، بعد أن ذكر أنه لا يجوز منع المتعلقين لمذاكرة العلم ما نصه ابن سهل وهذا فيمن يوثق بفهمه وعلمه ودينه، ويومن عليه الخوض فيما لا يحسنه، والفتوى فيما لا يعلمه، فحينئذ جاز له التحليق في غير أوقات الصلاة، حيث لا يضر المصلين هـ.

يتبع/...

الحديث السابع والمائة: من أجل بناء أسرة سعيدة(2)

في ظلال الحديث:

نص الحديث:

عن أبي حاتم المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد" قالوا يارسول الله، وإن كان فيه، قال: "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه ثلاث مرات".

إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

إن حسن اختيار شريك/شريكة الحياة لبنة أساسية في البناء العظيم، الذي لايضاهيه بناء في الأرض، ألا وهو الأسرة، ولذا وجب على كل والد ووالدة محبين لأبنائهما أن يعملا جاهدين وكل ما في وسعهما من أجل مساعدتهم في اختيار الكفء الصالح...

ولقد تناولنا في الحلقة الماضية، بعضا من جوانب موضوع اختيار الزوج، وإننا ونحن نتفيأ بظلال هذا الحديث النبوي العظيم، نتكلم بالخصوص عن دورالآباء في اختيار الزوج الصالح للبنت، ومسؤوليتهما في ذلك، فنسأل العلي القدير أن يوفق كل الآباء لما يحبه الله ويرضى.

2. استشارة الفتاة في خطيبها وعدم إجبارها

إن العرف السائد لدى العديد من الأسر عندنا، أن الأب يخبر البنت في أحسن الأحوال بأنه قد تقدم لها خاطب، أما في الغالب في أن الأم هي التي تخبرها بقرار أبيها، ويعد تناول هذا الموضوع مع البنت المعنية بالأمر أمرا مستهجنا، وهذا في حقيقة الأمر ليس من أمر الإسلام في شيء، بل هو من بقايا الجاهلية الأولى، فلقد كان عند الجاهليين إذا أراد الواحد منهم زوجا لابنته أخبره بالموافقة قبل أن تعلم ثم زوجها، ولما جاء الإسلام أبطل هذه العادات الإقصائية الفاسدة، فعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: جاءت فتاة إلى رسول الله (ﷺ) فقالت: إن أبي زوجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته. قال: فجعل الأمر إليها.فقالت: قد أجزت ماصنع أبي ولكني أردت أن تعلم النساء أن ليس إلى الآباء من الأمر شيء. رواه ابن ماجة وغيره.

وخطب ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ابنة لخويلة بنت حكيم بن أمية خطبها من عمها لأن والدها قد مات وهو عثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنه فوافق عمها على عبد الله بن عمر، وهذا العم هو قدامة بن مظعون خال عبد الله بن عمر، ثم خطبها المغيرة بن شعبة من أمها أو خطب البنت فوافقت أمها وأرادت البنت المغيرة موافقة لأمها فلما اختلف المغيرة مع عبد الله بن عمر ارتفع أمرهما إلى النبي صلى الله وسلم فقال قدامة بن مظعون: يارسول الله ابنة أخي، أوصى بها إلي فزوجتها ابن عمته: عبد الله بن عمر لم أقصر بها في الصلاح، ولا في الكفاءة ولكنها امرأة وإنما حطت إلى هوى أمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هي يتيمة ولاتنكح إلا بإذنها". رواه أحمد والدارقطني والحاكم والبيهقي إذن. أيها الأب الكريم. فإن من تمام المسؤولية أن تشاور ابنتك وأن تأخذ برأيها إن كانت على صواب، ولا تلزمها وتجبرها بما تراه أنت أهلا وتراه هي بعيدا عن نفسها بعد المشرقين، ولا تقل هذه عادات وأمور اعتدنا عليها، وليس عندي بنت ترفض ما يختاره لها أبوها، والله إن هذا من الظلم والظلم ظلمات يوم القيامة. إنك في حقيقة الأمر، إن كنت صادقا مع نفسك، تختار لنفسك، وليس لابنتك، وإلا فقل بالله عليك كيف تجبرها على الزواج من ابن أخيك، وأنت تعلم أنه فاسد الأخلاق... لايستحقها... ولاتظنن أخي الكريم أن ما ساد من مثل هذه العادات من الدين، إن الإسلام يعطي الحق كاملا للبنت في الإبداء بل والتشبث برأيها في شريك حياتها، فعن خنساء بنت خذام بن خالد رضي الله عنها أن أباها زوجها رجلا من بني عمرو بن عوف بن الخزرج فأبت إلا أن تتزوج أبا لبابة وأبى أبوها إلا أن يلزمها العوفي، حتى ارتفع أمرها إلى رسول الله (ﷺ)فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "هي أولى أمرها، فالحقها بهواها". قال فانتزعت من العوفي وتزوجت أبا لبابة، فولدت له أبا السائب بن أبي لبابة. أخرجه أحمد والدارقطني.

قال عمر رضي الله عنه: "لايكرهن أحد ابنته على الرجل القبيح فإنهن يحببن ماتحبون" وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى : (إنه ليس لأحد الأبوين أن يلزم الولد بنكاح من لايريد، وأنه إذا امتنع لايكون عاقا، وإذا لم يكن لأحد يلزمه بأكل ماينفر منه مع قدرته على أكل ما تشتهيه نفسه كان النكاح كذلك وأولى، فإن أكل المكروه مرارة ساعة وعشرة المكروه من الزوجين على طول تؤذي صاحبه ولايمكنه فراقه).

3. البحث عن زوج صالح:

قد يكون غريبا على بعضنا بل قد يكون مستشنعا عند بعضنا وقد يعيبه بعض الناس ولكن الحق أحب إلينا جميعا من كل أحد، وقبل أن تعيب هذا الأمر تريث حتى تقرأ دليله واحسب أنك إن شاء الله من الوقافين عند الحق ومن المحبين المتبعين للحق.

لنفرض أن البنت قد جاوزت سن الزواج ولم يتقدم إليها خاطب، وهي تواقة إلى بيت تأوي إليه، وإلى زوج تسكن إليه وليس بها عيب يمنعها من ذلك، أليس من حقها على والديها أن يبحثا لها عن زوج صالح يسترها وتستره، ويؤسسا معا أسرة سعيدة بإذن الله تعالى، ولعل المفارقة العجيبة التي في مجتمعنا، أن يجتهد في أن يحضر لابنته ماتشتهي من مأكل ومشرب وحلي.. رغم أن هذه الأمور لاتستفيد منها إلا لبضع ساعات، ويستحيي وينأى بنفسه أن يبحث عن زوج صالح لابنته تقضي معه طول حياته، وتنجب منه بنين وحفدة...

واعلم رحمك الله أنك، مهما بلغت من التقوى والورع وعفة النفس، فلن تصل إلى مراتب الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يعرض ابنته حفصة على عثمان بن عفان رضي الله عنه فيعتذر عن ذلك ثم عرضها على أبي بكر فلم يجد منه موافقة ثم خطبها النبي رسول الله (ﷺ) فتزوجها رسول الله (ﷺ) لتدخل باب التشريف والتكريم في الدنيا والآخرة، بأن تنادى أم المؤمنين رضي الله تعالى عنهن أجمعين.

ولقد أثبت البخاري رحمه الله تعالى بابا خاصا بهذا في صحيحه سماه : (باب عرض الرجل ابنته أو أخته على أهل الخير) ثم ساق خبر عمر السابق.

ومما يحسن في هذا المقام ذكره خبر تزوج سعيد بن المسيب لأبي وداعة فلقد كان أبو وداعة تلميذا لسعيد بن المسيب ففقده فلما جاء إليه سأل سعيد عن سبب غيبته فذكر أبو وداعة أن امرأته ماتت وأنه اشتغل بتجهيزها ودفنها فسأله سعيد: هل تزوجت؟فقال: يرحمك الله ومن يزوجني؟ فقال له سعيد كم تملك؟ فقال درهمان. فزوجه سعيد ابنته في يومه ذاك.

وكانت المرأة عالمة عابدة والعجب أن ابن الخليفة كان متقدما لخطبتها فرده سعيد وزوجها ذلك الفقير لصلاحه، رحم الله الإمام سعيد بن المسيب.

4. السؤال الدقيق عن الخاطب

إذا تقدم شاب لابنتك وأنت لاتعرف عنه إلا شيئا يسيرا فلا تتحرج من السؤال عنه حتى لو كان قريبا لك. فإذا كنت تمهل حاله فلاتتسرع بالموافقة على تزويجه إلا بعد البحث والتروي حتى لاتندم، فكم ذرفت فتاة دموع عينيها حسرة وحرقة والسبب أنهم أدخلوها مع أبواب مدلهمة لاتعرف منتهاها، إذن عليك أن تسأل عن هذا الخاطب ولاتخجل ولاتستحي لأن هذا حياء وخجل متصنع يضر أكثر مما ينفع.

واحرص على أن تسل أصحاب التقوى أهل الخير وأهل الاستقامة، لأن هؤلاء إن لم ينفعوك فلن يخدعوك ولن بغروك، سلهم وفتش عن أمره وليس هذا من التعنت أو التنطع، هذا رجل سيكون بينه وبين ابنتك رباط وثيق لايحله إلا الطلاق أو الموت... وقبل أن تسأل عن مهنته ووظيفته، وأين يعمل في الداخل أم في الخارج، وفي أي سلم وظيفي هو مرتب... سل أولا عن دينه وخلقه كما جاء في الحديث الذي بين أيدينا، لأن السعادة الحقيقية تنبني عليهما، وليس على مال أو جاه أسس....فكم من زوجة فقير في كوخ أسعد من مثيلتها في قصور وحشم وخدم لم تتذوق طعم السعادة، بل طعم الحياة...

4. النظر إلى المخطوبة

يعده بعض الناس عارا وشنارا وخزيا والعجب اننا نرى تناقضا عجيبا نرى بعض الناس يحافظ على أمور لم يؤمر بالمحافظة عليها ويفرط في أمور يلزمه بل ويجب عليه أن يتعاهدها وهذا أمر عجيب وتناقض عجيب واختلاف غريب.

هذا أمر مشروع في السنة وحث عليه النبي رسول الله (ﷺ) بل هو أمر بفضل الله وإذنه يعين على نجاح أمر الزواج إذا أردت مصداق ذلك فاسمع قول النبي رسول الله (ﷺ) : "إذا خطب أحدكم امرأة فلينظر إليها" لم شرع النظر؟ جاء التعليل النبوي لبيان الحكمة من النظر فقال:"فإنه أحرى أن يؤدم بينهما" يعني أن يتفقان وأن تتألف قلوبهما.

وهناك أمر لابد من بيانه هنا لأنه من تمام المسؤولية أيضا وهو: أن تخبر الخاطب بما يخفى من أمر ابنتك، بعض الآباء إذا تقدم خاطب ورضيه ورضيته قد يكون في البنت أمر يقدح في قبولها عند الخاطب فيخفي أمرها ذاك ولايخبره خشية أن ينفره عنها، هذا من الخيانة يقول رسول الله (ﷺ): "ومن أشار على أخيه بأمر يعلم الرشد في غيره فقد خانه" وإن من الخيانة أن تسكت عن أمر أنت تعلم أن ذلك الزوج لو علم به لما قبل ابنتك. تخيل أولا لو كان في ذلك الزوج أمر أخفاه عليك ثم فوجئت بعد عقد الزواج والدخول بذلك الأمر... اصدق النية مع الله ولن ترى من الله إلا مايسرك . ويشرح صدرك ويطمئن قلبك.

5. غلاء المهر

غلاء المهر قواصم الظهور، تلك المصيبة التي أكثرت العوانس في البيوت، وأكثرت شبابا عزابا من المسلمين، غلاء المهور حجر عثرة في طريق الزواج كم من عانس جلست عالة على أهلها والسبب أن والدها فرض شرطا ماليا وجعل ابنته سلعة تجارية يساوم عليها والله لو كان ذلك الرجل مشتاقا للزواج لبذل مايملك ليتزوج امرأة ثانية حتى يحقق أو يطفئ غريزته أو شهوته، هذا الشعور الذي يشعر به ذلك الرجل من الرغبة في المرأة تلك المرأة فيها من الشعور من الرغبة في الزواج كما فيك فلم تحرمها هذه الغريزة التي ركبها الله فيها؟ ولم تحرمها من أن ترى ذرية تقر بها عينها؟ لم تكون عائقا لها؟ ثم أيها الرجل اعلم أن المرأة أرق شعورا من الرجل. فكيف يكون حالها إذا رأت بنات عمها أو بنات خالها وهن يحملن أطفالهن. يأتي بهن أزواجهن إلى بيتك. قال (ﷺ) "خير الصداق أيسره" وعن أبي العجفاء السلمي قال: سمعت عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يقول: "ألا لا تغالوا صدق النساء فإن لو كان مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله . عز وجل . كان أولاكم به النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم..."

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى (... فمن دعته نفسه إلى أن يزيد صداق ابنته على صداق بنات رسول الله رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواتي هن خير خلق الله في كل فضيلة وهن أفضل نساء العالمين في كل صفة فهو جاهل أحمق. وكذلك صداق أمهات المؤمنين وهذا مع القدرة واليسار فأما الفقير ونحوه فلا ينبغي له أن يصدق المرأة مالا يقدر على وفائه من غير مشقة) مجموع الفتاوى 194/32.

وقال أيضا: وما يفعله بعض أهل الجفاء والخيلاء والرياء من تكثير المهر للرياء والفخر وهم لايقصدون أخذه من الزوج وهو ينوي أن لايعطيهم إياه فهذا منكر قبيح مخالف للسنة خارج عن الشريعة. وإن قصد الزوج أن يؤديه وهو في الغالب لايطيقه فقد حمل نفسه وشغل ذمته وتعرض لنقص حسناته وارتهانه بالدين. وأهل المرأة قل أذوا صهرهم وضروه... وقال ابن القيم رحمه الله تعالى بعد سياق بعض الأحاديث المتعلقة بالصداق (المغالاة في المهر مكروهة في النكاح وأنها من قلة بركته وعسره) زاد المعاد178/5.

قال بعض أهل العلم :(الغلو في المهور إذا ترتبت عليه مضايقة الأكفاء وانصرافهم عن الزواج أو عجزهم عن دفع المهر وترتب على ذلك بوار النساء وتعريض الشباب والشابات للخنا والفساد أو نقص النسل أو غير ذلك فإن الغلو يكون محرما بالإجماع).

هذه بعض الأمور، وددت بمناسبة هذا الحديث أن أذكرها قياما بواجب التذكير والنصيحة، فاللهم أعنا على القيام بالمسؤولية على الوجه الذي يرضيك عنا إنك نعم المولى ونعم النصير، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

فوائد الحديث

- الحث على النكاح
- الاعتبار بالدين والخلق في الزواج.

حديث المنابر

مجتمعنا الإسلامي وأسباب تدهوره

■ إعداد الاستاذ: محمد المهدي بوزيد

الخطبة الأولى:

■ الحمد لله الذي تكفل بحفظ كتابه، وسخر عباده لبيانه. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لاشريك له إثباتا لوحدانيته، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المرشد لأمته، فأخرجها من الظلمات إلى نور ربه، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه.

أما بعد: فيا أيها الإخوة المومنون:

يقول الله تعالى في سورة آل عمران: (...ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون...)إن هذه الآية تقرر أنه لابد من فئة داخل المجتمع المسلم مهمتها الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهذا يدل على أن رعاية المجتمع المسلم موكولة إلى أفراده، أو ليس ذلك هو مايسميه المعاصرون في كل المجتمعات بالديمقراطية؟! وعلى هذه الأسس بنيت أعمدة المجتمع الإسلامي الأول الذي قاده سيد البشرية رسول الله صلى الله عليه وسلم. وبعده الخلفاء الراشدون ومن سار على نهجهم في الأمم التي بعدهم، وظل ينقص شيئا فشيئا إلى عصرنا هذا حيث أصبح القليلون هم الذين يهتمون برعاية الجانب الاجتماعي في حياتهم الإسلامية، وأقل من القليل، أولئك الذين يدرسون هذا الجانب، ويستوعبونه فهما وهضما وإدراكا لآثاره ونتائجه.

. فما هي أسباب التدهور في المجتمعات الإسلامية؟

قد يكون السبب: هو التخلف العلمي الذي صحب فترة الركود والاستعمار والاضطراب في حياة المسلمين إثر الضربات العنيفة التي وجهت إليهم، والتي لايزالون يعانون من آثارها، بل ولا يزالون يتلقونها بعنف وقسوة تارة من بلاد الغرب التي أصبحت تقارن الإسلام بالإرهاب والمسلمين بالإرهابيين، وتارة من إخوان لهم في الوطن وليسوا إخوانا لهم في الدين لأنهم يرفضون الدين وإن زعموا أنهم مسلمين.

وقد يكون السبب في هذا التدهور: هو انكماش العلماء مما فتح المجال إلى ظهور طائفة قليلة العلم والإدراك ترمي الناس بالكفر والفسوق وهي حاقدة وتشيع بين الناس أسباب التفرق والتمزق والبغضاء.

وقد يكون سبب هذا التدهور: عملية التصدير والاستيراد التي وقع المسلمون في شباكها وارتموا . راضين أو مرغمين . تحت رحمة أعدائهم. وهي ليست تصديرا أو استيرادا من النوع المألوف، أي من سلع تنفع البلد، بل هو تصدير من نوع خطير مدمر ساحق، وهو تصدير الإنسان المسلم ذي المبادئ السامية، والإنسانية الرفيعة والسيادة العزيزة المستمدة من دينه وقرآنه ورسوله ليعمل عاملا في بلاد غير المسلمين، ويا ليته يقف عند هذا الحد بل ويخضع دون شعور ولا إدراك إلى غسل مخ، وغسل أخلاق، وغسل مبادئ، ثم حشوه بعد ذلك بازدراء أمته، واحتقار دينه ونبذ مبادئه وتقاليده وتقاليد آبائه، ثم يطور أبناءه تطويرا سريعا متقنا حتى يصبح لايصلح إلا للهدم، وكالقرد لايحسن إلا التقليد، فلا هو شرقي ولا هو غربي، ولاهو مسلم ولا غير مسلم، ولا هو امتداد لآبائه وأجداده، ولاهو معترف بانقطاعه من أمته وانفصاله، لقد غادر هؤلاء بلادهم وهم عمالقة في المبدائ والأخلاق والقيم ثم رجعوا أساتذة في الانحراف والهدم.

كما قد يكون السبب في التمزق الاجتماعي: عملية الفصم التي جاء بها الفكر المستورد والتي تقوم على أساس فصل العقيدة عن العمل والسلوك، وفصل الأبناء عن الآباء، وفصل الجيل الناشئ عن الجيل السابق، حتى إنك لتجد أثر هذا الفصم في ازدراء الأبناء للآباء، وفي تضايق البنات من أعمال ونصائح الأمهات، وفي إبراز كلمات صارت كلوحات مقدسة في كل الأسرة: (رجعية، تعصب، تزمت، جمود، تأخر...الخ) مما يوجهه الأبناء للآباء وهذا يدل على أن أعداءنا نجحوا في تحطيم مقدساتنا وقيمنا من نفوس ابنائنا وبناتنا، حتى أنك لتجد اليوم في الشارع يخرج الأب أو الأم أو معا ومعهما ابنتهما ترتدي لباسا سافرا يستحيي الشيطان أن يرفع بصره فبالأحرى صاحب القيم في غير ما خجل أو حياء أو دين.

قد تكون هذه الأسباب أو إحداها سببا في تدهور هذا المجتمع فقضى على ما كان ينبغي أن يكون بيننا من أخوة ومحبة وتعاون وترابط، وصلة الأرحام، وإكرام الجيران، وكفالة اليتامى، ورعاية أرامل لا عائل لهن.

وصدق رسول الله صلى عليه وسلم في قوله: (بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء)(رواه مسلم).

الخطبة الثانية:

فضيلة الأخلاق العالية

■ الحمد لله الذي ألف بين قلوب عباده المخلصين فأصبحوا بنعمته إخوانا. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لاشريك له نزع الغل من صدور المؤمنين فظلوا رفقاء في الدنيا، وفي الآخرة خلانا. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اصطفاه ربه ليكون للناس قدوة أخلاقا وإحسانا، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أصدق الناس تقوى وإيمانا.

أما بعد: فيا أيها الإخوة المسلمون

إن الله تعالى قد مدح نبيه بخصلة لاتخفى فضيلتها في الدين وهي فضيلة الخلق الحسن إذ قال سبحانه في سورة القلم (وإنك لعلى خلق عظيم) ثم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الدعوة المحمدية التي بعث صلى الله عليه وسلم من أجلها تقوم أسسها على مكارم الأخلاق فقال عليه السلام (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) ووضح ذلك بقوله في الحديث الذي رواه الترمذي عن أبي هريرة (أكثر مايدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق).

ومن حسن الخلق . أيها المؤمنون . مابينه رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال (يا أبا هريرة عليك بحسن الخلق، قال أبو هريرة رضي الله عنه وماحسن الخلق يارسول الله؟ قال تصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك) ومعناه أن الخلق الحسن يتجلى في الأعمال والصفات الطيبة التي تربط العلاقة بين المرء وأخيه. وبذلك فقد أوصى صلى الله عليه وسلم بصلة الرحم وزيارة الأقارب وإن كان منهم مقاطعة وفي هذا الباب جاء في الحديث القدسي (يقول الله تعالى أنا الرحمن وهذه الرحم شققت له اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بثته) وجاء في حديث آخر أصله في البخاري بغير هذا اللفظ (إن الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا انقطعت رحمه وصلها).

أما أخلاق الأخوة في الله فلا تتم إلا إذا حصلت المرافقة في مقصد واحد حتى يصبح الإثنان كالشخص الواحد، وهذا يقتضي المساهمة في السراء والضراء والمشاركة في المآل والحال، والمواساة بالمال، والإعانة بالجسد، روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه).

كما جاء النهي المطلق على مقاطعة المسلم أخاه المسلم سواء كان بعيدا عنه في النسب أو قريبا منه بحديث رسول الله الذي رواه عنه الشيخان البخاري ومسلم (لايحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال: يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام).

علم التوقيت وكتاب " السندسة في معرفة الأوقات بالهندسة

■ إعداد الأستاذ : محمد الرمشاني

الحلقة الثانية

■ هي أن المؤلف لم يضع لذلك أشكالا هندسية في مؤلفه هذا كأمثلة لتوضيح المقصود حتى يسهل على طالب هذا الفن إدراك الغرض المطلوب.

وعلى كل حال يبقى الكتاب مفيدا في بابه لمتعاطي دراسة علم التوقيت بصفة عامة.

وقد رأيت أن أدرج نص هذا الكتاب إتماما للفائدة.

نصه:

قال الشيخ محمد بن علي الشبراملسي المالكي رحمه الله.

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض ، وميز بين جوانبها بالاختلاف والعرض فتغيرت فيها أحوال الشمس في الانحطاط والارتفاع، واختلفت حصص أوقات الصلوات المكتوبة لاختلاف البلدان والبقاع، أحمده حمدا أستزيد به مواهب إدراك بدائع حكمته وأشكره شكرا أستزيد به توالي إمداد سوابغ نعمته، وأصلي وأسلم على أشرف أنبيائه ونخبة أصفيائه، سيدنا محمد الذي أرشدنا إلى ما وجب علينا في سائر الحالات وما حرم وما حل ، وأخبرنا أن خير عباد الله الذين يراعون الشمس والقمر والنجوم والأظلة لذكر الله عز وجل ، وصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررة الأطهار ، صلاة وسلاما دائمين متلازمين بدوام تعاقب الليل والنهار.

وبعد فيقول العبد الفقير ، المعترف بالعجز والتقصير المفتقر لكرم مولاه، الراجي عفو ربه ورضاه، " محمد بن علي الشبراملسي المالكي" هذه رسالة مختصرة ، مفيدة معتبرة ، في معرفة حصص الأوقات في سائر بقاع الأرض، المثبتة الأسماء في الأزياج والمجهولة العرض، باستعمال البركار المسطرة ، بطرق هندسية منتخبة على البراهين المحررة ، وضعتها إسعافا للطلاب ، وإشفاقا لذوي الألباب ، إلى الترقي لمراقي الرجال ، في الإحاطة بمسائل هذا العلم على هذا المثال ، ورتبتها على مقدمة ، وعشرة أبواب ، يتبعها خاتمة تكشف عن أوجه مخدرات اجتنى ثمراتها النقاب ، وسميتها " السندسة في معرفة حصص الأوقات بالهندسة" أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع بها وأن يكسوها قبولا وبهاء إنه بالإجابة جدير. وهو على كل شيء قدير.

اعلم أن أوقات الصلوات فرض على كل مكلف كما نص عليه ابن محرز من علمائنا في تبصرته، ثم قال : لأنه لما أخذ عليهم في تكليفه الصلوات أن يفعلوها في أوقات وجب عليهم أن يتعلموا تلك الأوقات ليتمكن لهم الأداء لها ، وقال البرزلي في فتاويه ، يلزم كل من يقدر على إقامة الحق إقامته، ومن إقامة الحق أن يوكل بالأوقات من يفهم ويعرف الأوقات كلها ممن يوثق به، وينهون عن سبعة ، فإن انتهوا وإلا توعدوا، فإن عادوا سجنوا، وإن لم يكن عارفا وكان غير مامون لا يقتدى به.

فينهى أن يبتدأ بالأذان أشد النهي، فإن عاد أدب أدبا وجيعا، وقال ابن محرز لا يجوز تقليده ، ومن صلى بتقليد، لم تجز صلاته، وقد جاء الترغيب في معرفة الأوقات والحث عليها، فمن ذلك ما رواه ابن أبي أوفى رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن خيار عباد الله الذين يراعون الشمس والنجوم لذكر الله» رواه الطبراني واللفظ له، والبزار ، والحاكم، وقال صحيح الإسناد وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال:« تعلموا الوقت ولا تكونوا كالذين يؤذنون على أذان بعضهم بعضا الوقت» وقال ابن عرفة كون الشمس ونظيرها بدائرة أفق معين، أو بدرجة، علم قدرها أي انحطاط الشمس وارتفاعها منه، ودخول أوقات الصلوات مقيد بمقادير أزمنة الليل والنهار، وتسمى الحصص وهذه الأزمنة تختلف بمقاديرها في البلد الواحد باختلاف أيام العام، وفي اليوم الواحد باختلاف البلدان المختلفة العروض، والعلم بها في كل يوم بأي بلد فرض له طرق كثيرة، أدقها تحقيقا. الطرق الهندسية الحسابية ، ويليها في التدقيق الطرق الهندسية وهي المقصودة بالذكر في هذه الرسالة لقرب مأخذها وسهولة مئونتها.

ولنقدم الآن تعريف الحصص والليل والنهار

أما الليل : فهو المدة التي من حين محاذاة مركز الشمس للأفق الغربي للانحطاط عنه إلى محاذاته ثانيا للأفق الشرقي للارتفاع عنه وتسمى هذه المدة قوس الليل.

أما النهار : فهو المدة التي من حين محاذاة مركز جرم الشمس للأفق الشرقي للارتفاع عنه إلى محاذاته ثانيا للأفق الغربي للانحطاط عنه وتسمى هذه المدة قوس النهار ، هذا على مصطلح الفلكيين ، وأما في الشرع فالليل هو المدة التي من غروب جميع جرم الشمس إلى طلوع الفجر الصادق.

والنهار : هو المدة التي من طلوع الفجر الصادق إلى غروب جميع جرم الشمس.

وأما الحصص في الاصطلاح فهي مقادير من زمان الليل والنهارمحددة لمحاذاة مركز الشمس في سيرها بالحركة اليومية لأماكن مختصة من الفلك بالنسبة لأفق البلد الذي طلب فيه معرفة مقاديرها، وهي ست حصص ، منها ما زمنه مقدار من الليل أو مقدار من النهار اتفاقا ، ومنها مازمنه مقدار من الليل اصطلاحا وبعضه ليل وبعضه نهار شرعا، ومنها ما مقداره ليل اصطلاحا ونهارا شرعا، والمختلف فيه منها حصتان هما:

حصة العشاء وهي المدة التي من انحطاط مركز الشمس عن الأفق الغربي إلى أن يبلغ في الانحطاط سبع عشر درجة من دائرة عظيمة تمر به وبمركزيه، ويسمى سمت الرأس والرجل، ويكون بمدتها ظهور الشفق الأحمر، وهي الحمرة التي تعقب الشمس بعد غروبها، وتسمى هذه الحصة حصة الشفق، ويدخل وقت العشاء بمضيها من الغروب وبمغيب الشفق، والاختلاف فيها هو الاختلاف في مبدئها، قوله في مبدئها أي في نهايتها، لأن انحطاط الشمس إلى سبع عشرة درجة هو نظير انحطاطها على الأفق الغربي ، فتكون كمية الحصص ليس فيها خلاف ، فهو عند الفلكيين ما ذكر ، وعند الفقهاء غروب حاجب الشمس الأعلى من الأفق الغربي، فيكون ما بين هذا والأول نهارا عند الفقهاء ، وليلا عند الفلكيين.

وحصة الصبح : وهي المدة التي من انحطاط مركز الشمس عن الأفق الشرقي بمقدار تسع عشر درجة من دائرة عظيمة تمر به وبقطبيه، ويسمى سمت الرأس والرجل إلى محاذاته للأفق الحقيقي ، ويمتد بها طلوع الفجر الصادق وهو البياض المعترض في الأفق الشرقي قبل طلوع الشمس لإقبالها إليه إلى طلوع الشمس، وتسمى هذه الحصة حصة الفجر ، ويدخل وقت الصبح بابتدائها ويعلم بمضي قوس الليل من الغروب إلى مقدارها، وهي نهار عند الفقهاء، وليل عند الفلكيين ، والمتفق على كونه نهارا.

فحصة الظهر وهي المدة التي من طلوع مركز الشمس من الأفق الشرقي إلى توسطه ، وتسمى هذه الحصة نصف قوس النهار الشرقي ، ويدخل وقت الظهر بمضيها وهو زوال الشمس عند التوسط إلى جهة المغرب، ويكون زوال الشمس بزيادة ظل كل قائم على بسيط الأرض بعد تناهي نقص إن لم نعدم وبوجوده بعد انعدامه إن انعدم.

وحصة العصر: وهي المدة التي من زوال الشمس إلى أن يصير ظل كل قائم على بسيط الأرض مثله بعد ظل الزوال إن لم ينعدم الظل عند الزوال ،وإلا فإلى أن يصير ظل كل قائم مثله فقط، وعند أبي حنيفة إلى أن يصير ظل كل قائم مثليه بعد ظل الزوال إن لم ينعدم الظل، ومثليه فقط إن انعدم، وتسمى هذه الحصة الدائر للعصر، ويدخل وقت العصر لمضيها من الزوال ، وبمضيها من حصة الظهر من الشروق.

وحصة المغرب وهي المدة التي من وقت نهاية حصة العصر إلى غروب مركز الشمس هذا اصطلاحا، وإلا ففي الشرع إلى غروب جميع جرم الشمس، ومن علامات غروبه اسوداد السحاب بعد احمراره واحمرار المشرق، ثم إظلامه،وتسمى هذه الحصة الدائر للغروب، ويدخل وقت المغرب بمضي مقدارها بعد انتهاء حصة العصر متمكنا بزيادة أقلها نصف درجة أو أكثر ، وبمضي نصف قوس النهار من الزوال متمكنا أيضا بما ذكر، أو بمضي قوس النهار كله من الشروق كذلك، وهو المتفق على كونه ليلا، فحصة جوف الليل وهو ما يبق من قوس الليل بعد أن يطرح منه مجموع حصتي الشفق والفجر، ويدخل بمضيه بعد حصة العشاء وقت الصبح.

والمقصود بالذات من هذه الرسالة استخراج مقادير هذه الحصص بالطرق المخصوصة ليعلم بمضي مقاديرها متمكنة ونحوه دخول أوقات الصلوات، وما يذكر في غير الباب السادس والباب الثامن من أبوابها من استخراج ما ليس منها فهو مما يتوقف العلم بمقاديرها مطلقا ، أو في بعض الأحيان ننبه عليه كما سنوضح ذلك في الخاتمة إن شاء الله تعالى.

الشكل 4

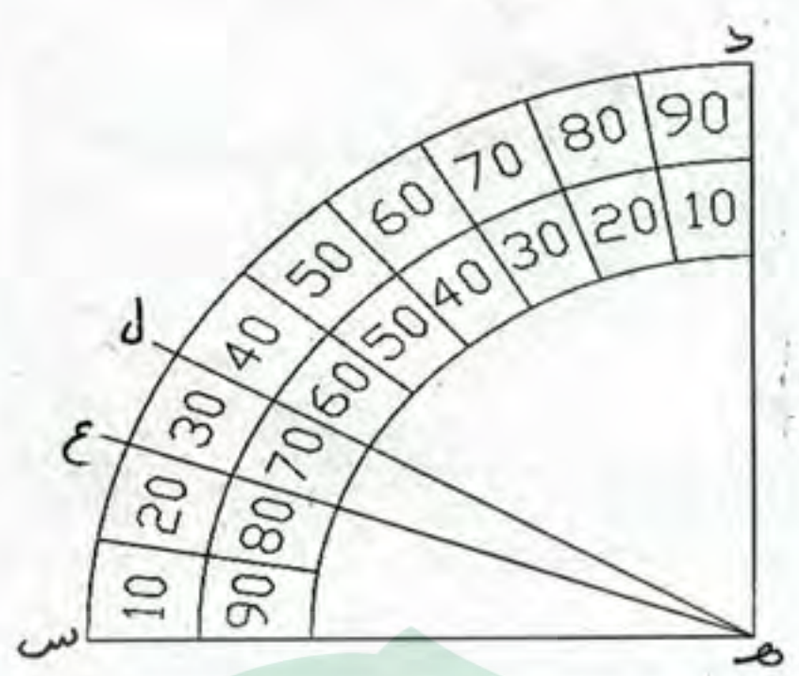

الشكل 5

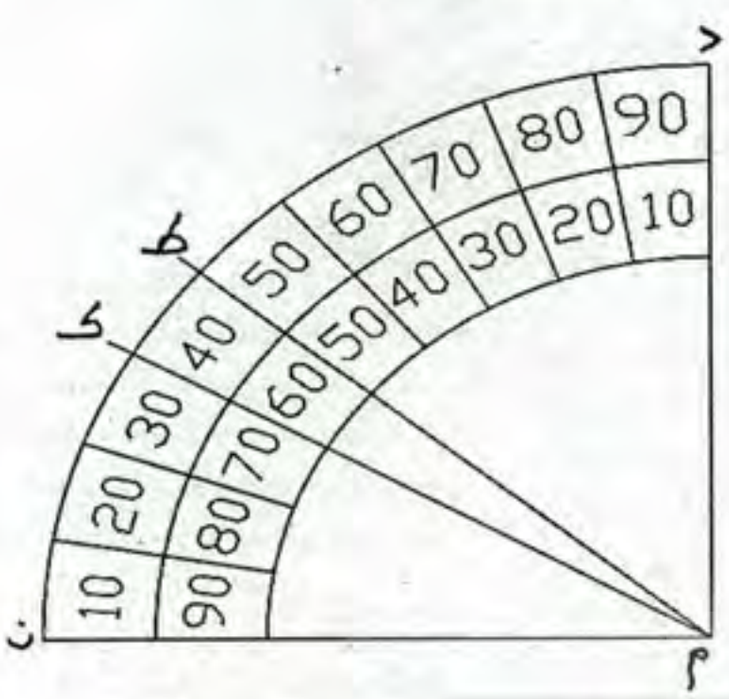

العلم الإلهي الثالث علم الأرحام "ويعلم ما في الأرحام"

■ إعداد الدكتور: ادريس خرشاف

■ كثيرا مايظن البعض أن علم الإنسان قد أوصل البشرية إلى معرفة كثير من القضايا الجوهرية، وخاصة منها معرفة الجنين (بشكل عام).

لكن الإنسان قد أغفل حقيقة أخرى تبعد في مجالها العقلاني والتطبيقي مسافة كبيرة عن العلم البشري، ألا وهي معرفة جملة العوامل التي تدخل في سيرورة الأحداث (بالمفهوم الاحتمالي)، لتكوين حادثة معقدة التركيب، ويتعلق الأمر، بذلك الكائن الحي الذي أهله الحق لمعرفته وليكون خليفة في الأرض، لأن فكرة العبث والاحتمالات لا توافق الرؤية الروحية، مصداقا لقول رب العالمين: "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" الذاريات/الآية:56.

ويرجع ذلك إلى المعلومات المتوفرة لدى الإنسان، والتي لاتتجاوز فعليا جزءا بسيطا من الذرة في عالم مترامي الأطراف، أي في ذلك الكون الفسيح وعلامته المدهشة التي تثبت قوة مسير هذا الكون.

إن النموذج الذي سندرسه . إن شاء المولى . في هذا المناخ هو معرفة الجنين: إذ أن المكونات العلمية المجتمعة لدى كثير من الباحثين، تؤكد استقرارية المعرفة، ويظنون من خلال سلوكه المختبري، وإزاء مظاهر الطبقية، أنهم توصوا إلى دقائق الأمور، وحدود المعرفة، لكن الغريب، أنه قبل أن تنتهي أيام قليلة لباحث طبيعة، حتى تظهر نظرية جديدة تبرز إلى النور لتؤكد ضعف الأبحاث السابقة، وعدم مقدرتها لمعايشة الواقع.

وبالفعل، إذا قمنا بقراءة تاريخية لنظرية المعرفة البيولوجية عند الإنسان، وجدنا أن علماء سنة 7ق.م، يظنون أن الجنين يتخلق من دم الحيض، ويرتكزون في تحليلاتهم هذه على الواقع المعيش، إذ يربطون الحمل بتوقف دم الحيض.

وفي منتصف القرن الرابع عشر يتوصل الباحثون إلى فكرة عامة ومفادها أن الجنين يتطور داخل بطن الأم.

وفي القرن السابع عشر، ظن الباحث Soker 7/12/1695أن الجنين يخلق كاملا ويتمامه.

أما في القرن الثامن عشر، فإننا نجد العلماء يدعون أن الإنسان يخلق في البويضة، وينفون دور التلقيح Fécondation الناتج عن التخصيب(ماء الرجل وماء المرأة).

أما علماء الإسلام في شخص ابن الحجر وابن القيم فقد قالا:

"إن الإنسان لايمكن أن يخلق من دم الحيض لأن الله تعالى يقول: "ألم يك نطفة من مني يمنى، ثم كان علقة فخلق فسوى، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى" ،القيامة/الآية:39).

من هذه الآية الكريمة، يتضح لنا أن تحديد جنس المولود (ذكرا كان أو أنثى) يكون بعد مرحلة معينة (بعد التسوية)، وهنا نطرح جملة من الأسئلة الآتية:

1. هل يستطيع الإنسان تحديد المدة الزمنية التي سيحصل فيها لقاء ماء الرجل بماء المرأة، أو بمعنى آخر، معرفة الفترة التي سيدخل فيها الحيوان المنوي (للرجل) لبويضة المرأة (هناك ملايين من الحيوانات المنوية الذكرية) والمسماة بعملية الإخصاب؟

2. هل يستطيع الإنسان تحديد الحوين المنوي الوحيد (من بين الملايين) الذي سيدخل للبويضة؟

3. هل يستطيع المرء التعرف على ميكانيكية الاندماج التي تحصل بين الحوين المنوي، وجينات البويضة والتي تؤدي إلى حياة جديدة؟

4. هل باستطاعة الإنسان تحديد العامل الرئيسي الذي يؤدي لانقسام البويضة المخصبة وفق نظام هندسي بديع (متوالية هندسية. progression géométrique)؟

5. هل يعرف الإنسان سبب تنوع الخلايا (Variété de cellules différentes)، حيث هناك ما يقارب200نوع من الخلايا المتخصصة، تجعل كل نوع يقوم بدوره المنوط به؟

6. هل يستطيع المرء معرفة جنس المولود؟

وحتى على مستوى معرفة الجنس (ذكر أو أنثى)، فإنه توجد صعوبة كبيرة لحل هذا اللغز، ولنتأمل جميعا في بعض هذه الصعوبات من خلال الوضعية الآتية:

يعلم أهل الاختصاص، أن الجنين يبتدئ (في مرحلة الأولى) بقناتين هما: قناتي Mullerوقناتي Wolff، كما أن في جسم الجنين مواد كيماوية، فهي إما تقوم باضمحلال قناتي Mullerوعندها يكون الجنين ولدا، أو تقوم بالقضاء على قناتي Wolff ويكون الجنين وقتئذ بنتا.

وهذا معناه أن الذكر أو الأنثى لهما منبع واحد هو الجنين المزدوج الخاصيتين، ولايسعنا نحن معشر المسلمين إلا التكبير، لأن القرآن الكريم أخبرنا بذلك منذ قرابة خمسة عشر قرنا حينما يقول جل شأنه "فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى"القيامة/الاية: 39.

وفي هذا الصدد نستعرض أجوبة أطباء المسلمين عندما طرحت عليهم جريدة "المسلمين" السؤال التالي: هل معرفة نوع الجنين ذكرا أو أنثى يعتبر كشفا عن غيبية "ويعلم ما في الأرحام"؟وهل مدلول "ما في الأرحام" ينصب فقط على الذكر والأنثى؟ وهل نتائج الطب قطعية أم أنها ظنية في هذا المجال؟ يجيب الدكتور أحمد أبو جبل (أستاذ النساء والولادة بطب عين شمس) حيث يقول: "إن نتائج محاولة الطب معرفة نوع الجنين، وهل هو ذكر أم أنثى لم تصل إلى نتائج قطعية. وهناك طرق ثلاث لمعرفة الجنين:

الأولى: عن طريق استخدام الموجات فوق الصوتية في الفترة الأخيرة من الحمل.

الثانية: عن طريق تحليل السائل الأميوني بإدخال حقنة في الرحم عن طريق البطن، وقد تصل نتائج هذه الطريقة إلى نسبة قريبة من 70 في المائة من الدقة والنجاح".

الثالثة: بأخذ عينة من الغشاء الكريوني في أشهر الحمل الأولى.

ثم يضيف الدكتور قائلا: "وأيا كانت النتائج، فهي ليست قطعية في مسألة لاتخرج أصلا عن احتمالين، يضاف إلى هذا أن محاولة المعرفة تهدف إلى معرفة الواقع.

بجانب هذه الوضعية، نطرح سؤالنا الآخر، والمتعلق بمدى إمكانية برمجة السائل الكيميائي لكي نحصل على ذكر أو أنثى؟

وردا كان الجواب بالإيجاب، فهل يستطيع المرء إنهاء التطورات البيولوجية اللاحقة؟

بالإضافة لهذا وذاك، هناك مشكلة في غاية التعقيد، ويتعلق الأمر بالبنت التي تحمل جينا جنسيا ذكريا، أو المواد الذي يحمل جينا جنسيا أنثويا، كيف ذلك؟

يعلم القارئ الكريم، أن الجين الجنسي للولد هو الثنائية XY، أما الجين الجنسي للبنت فهو الممثل بالثنائية XX.

فإن أعطى الزوج الجين Yوالزوجة الجين Xكان المولود ذكرا.

أما إذا أعطى الزوج الجين Xوالزوجة الجين Xكان المولود أنثى.

لقد أظهرت النتائج (حسب الإحصائيات الدولية)، أنه يمكننا الحصول على ولد يحمل جنسيا أنثوياXX، وتكون نسبة هذه الحالة تصل إلى 1/20.000، وأحيانا يكون المولود بنتا ويحمل الجين الجنسيXY، وتكون نسبة هذه الوضعية تقارب 1/50.000إلا في كلتا الحالتين تمثل حالة العقم، لذلك يقول رب العالمين، وهو أصدق القائلين (أو يزوجهم ذكرانا وإناثا، ويجعل من يشاء عقيما XLII SO)الشورى/الآية:50.

فهل يستطيع الإنسان بكل ما أوتي من قوة، الوصول إلى هذه التوافقات البيولوجية (Combinaison biologiques)؟

ثم إن ما في الأرحام، لاتقتصر على معرفة نوع الجنين فقط، بل تذهب لتشمل النواحي الخلقية، ونعني بذلك:

1. هل الجنين صالح أم طالح.
2. شقي أم سعيد.
3. رؤوف أم متجبر.
4. رحيم أم متغطرس.
5. معرفة لونه، وطوله، وقوة بنيته.
6. مستوى الذكاء والقدرة على التفكير.
7. عالم أم جاهل.

ولاشك أن الطب الحديث سيظل عاجزا عن فهم مستقبل الجنين على المستويات الثلاث:

1. مجال الحياة الدنيوية (حياة البطن. حياة الدنيا).
2. مجال الحياة البرزخية.
3. مجال الحياة الأخروية.

فما أشد حاجتنا إذن نحن معشر المسلمين، إلى فهم تحولاتنا البيولوجية فهما دقيقا، حتى ندرك وضعيتنا المعرفية، ونردد في آخر المطاف ماقاله رب العزة لعباده في معادلته الخالدة (ويعلم ما في الأرحام)سورة لقمان/الآية: 34).

كما يقول في آية أخرى:

(الله يعلم ما تحمل كل أنثى وماتغيض الأرحام وماتزداد)سورة الرعد/الآية:8.

فن الخط العربي الحاضر الغائب

■ إعداد الأستاذ: محمد المصلوحي

■ تشكو الساحة الثقافية والفنية المغربية من خصاص ملحوظ وغياب واضح في الاهتمام بفن أصيل وعريق من الفنون العربية والإسلامية تألق نجمه قرونا وترعرع في أحضان الشأن الديني والثقافي بكل مكوناته إنه فن الخط العربي، الفن الحاضر الغائب، الحاضر بجسده الذي مسخته تكنولوجيا الكومبيوتر رغم ماتؤديه هذه الأخيرة من خدمات جلى، والغائب كفن أودعت فيه يد الفنان المسلم طوال السنين والقرون المنصرمة إبداعات لم تعرفه مثله حضارة من الحضارات عبر التاريخ.

ولن نغرق هنا في سرد الأسباب والمسببات، فقط نشير في العموم إلى السبب الرئيسي وهو التراجع المهول الذي عرفته حضارتنا العربية والإسلامية خلال القرون الأخيرة والتكالب الغربي الاستعماري الذي غزا جهات عريضة من واقعنا وحضارتنا.

فصار تراجعنا في المجال الذي نحن بصدده كبير بل لاتوجد إضافة أو تجديد يذكر منذ قرون خلت، بل سياسة الطمس والانغلاق والتهميش هي السائدة، وبطبيعة الحال إذا كان لابد من إفراغ طاقات فنانينا العرب، فالساحة التشكيلية والسنيمائية والمسرحية والموسيقية... ذات التوجه الغربي متاحة، حيث المعاهد والمدارس والجامعات بالداخل والخارج موجودة والتشجيعات والاغراءات في متناول كل محب لهذه الضروب من "الفن الحديث" إلا فن الخط العربي اليتيم فهو فن أكل عليه الدهر وشرب وفن تقليدي كلاسيكي لايؤدي بك لشيء حسب تصورهم.

رغم هذا الواقع المهيمن والممنهج وتحت ظلامه الدامس... تتفتق طاقات واعدة وتستنير بنور الحرف العربي آمال شابة وقوية ترنو نحو شمس الإبداع والعطاء.

تقول للعالم أن هذه الأمة مازال فيها كل الخير والأمل بفضل صحوة شبابها واستنارة فكر علمائها ومثقفيها الأصليين المنفتحين على كل نافع ومثمر مفيد لحضارتهم وبلدهم.

تأسيسا على ذلك تطالعنا من حين لآخر إبداعات خطاطين مغاربة بالخصوص بأعمال راقية وعالية تجد صداها عند كل مهتم، خاصة الجهات التي تعنى رسميا بهذا الفن كمعهد "الارسيكا" باستنطبول تركيا وماكانت تعرفه العراق قبل الغزو الأمريكي من اهتمام كبير بالميدان المذكور، إضافة إلى إيران وسوريا وغيرها.

ومعلوم أن المغاربة حتى بدون معاهد ولامدارس ولا أكاديميات تصقل مواهبهم، فقد تألقوا وتصدروا القوائم والمسابقات الدولية وأبهروا المهتمين والخبراء... وكل واحد منهم ينطلق من إمكاناته الخاصة ويتخطى الصعاب ليحقق ذاته ويسرق الأضواء من جهات ذات الاهتمام الفني المشترك.

حري بجهات رسمية وطنية أن تعنى بمخزونها الكبير هذا، الذي يغطي رقعة بلدنا والخطاطون المغاربة بإشارة صغيرة من جهة مسؤولة جادة من السهل أن تتجمع وتوحد جهودها وتطور إمكاناتها وإبداعاتها خصوصا أن السمة الغالبة على الخطاطين المغاربة الحياء والتواضع لحد الانزواء والانطواء، وتكفي الإشارة للمحاولتين الأخيرتين التي نظمتها ثلة من الخطاطين المغاربة بمتحف الاوداية بالرباط والمجلس العلمي بالولاية لتكشف لك لذا الامكانيات الفنية المهمة التي يزخر بها المغرب.

فهل من اذان صاغية، ونوايا طيبة تساهم في تأسيس وانطلاق نهضة خطية مباركة لهذا البلد.

أسرار الرسم في المصحف الشريف

■ إعداد الأستاذ /محمد حمدو

الفصل والوصل نموذجا

تعد دراسة رسم المصحف ذات أهمية كبيرة ، باعتباره وسيلة من وسائل التفسير لذلك نجد أن رسم المصاحف العثمانية التي وزعها سيدنا عثمان .رضي الله عنه .على الأمصار يقوم على إملاء خاص في ذلك العصر ، وقد سار على هذا الإملاء من جاء بعدالصحابة واستمر الوضع كذلك إلى الآن.

إلا أن الغريب في هذا الرسم أنه يتضمن أنواعا من الزيادات والحذف وغيرها من الظواهر الخطية التي تخالف الخط العادي الذي تعود الناس عليه، مما يطرح التساؤل حول أسباب ذلك ، وهل في المصحف أسرار ولطائف تكمن في خطه وطريقة كتابته؟

هذا السؤال يجيب عنه العلامة عبد العزيز الدباغ كما نقله عنه الإبريز قال(رسم القرآن سر من أسرار المشاهدة وكمال الرفعة ، وهو صادر من النبي صلى الله عليه وسلم،وليس للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن ولا شعرة واحدة، وإنما هو بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم).

ومن ظواهر رسم المصحف ظاهرة (الفصل والوصل)، ومعناه أنك تجد بعض الكلمات والألفاظ موصولة في مواضع مفصولة في أخرى ، مثل (أينما .اين ما) (أنما .أن ما) ، (بئسما .بئس ما) .. وسأقتصر في هذا المقال على بعض هذه الكلمات من خلال الأمثلة الآتية :

❖(أينما .اين ما)

المثال (الوصل) قوله تعالى (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) سورة النساء / الآية 78 المثال الثاني (الفصل) قوله تعالى :(وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون) سورة الشعراء الآية: 92.

نلاحظ في المثال الأول أن لفظ أينما .موصول ، لأن المعنى الذي بعده يتصل بعضه ببعض كيف ذلك ؟ كلنا يعلم أن الموت حق ، وأنه قدر محتوم يستحيل الفرار منه . فهو يتربص بالإنسان حيثما حل وارتحل ، مترصد له لدرجة الاحتكاك و الاتصال به حتى وصفه الله بأنه . مدرك .فلما كان الأمر كذلك جاءت .أينما .في الآية متصلة.

أما في المثال الثاني فالمعنى فيه منفصل ومتعدد .لأن مكوناته غير مرتبط بعضها ببعض ذلك أن المشركين تختلف معبوداتهم وتتعدد فتارة تعبد الأصنام ، وتارة الأهواء .. فهي آلهة متباينة.

❖(أنما .أن ما)

المثال الأول (الوصل) قوله تعالى (لاجرم أنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة) سورة غافر / الآية 43.

المثال الثاني (الفصل) قوله تعالى: (ذلك بأن الله هو الحق . وأن ما تدعون من دونه هو الباطل ، وأن الله هو العلي الكبير) سورة الحج / الآية 62.

سر الوصل في المثال الأول أن نبي الله يوسف عليه السلام أكد أن جميع ما يعبد من دون الله عجز هم متواصل سواء في الدنيا أو الآخرة ، فمهما ادعى الناس أنها معبودات نافعة، فهي في الحقيقة لا تقدر على شيء ، وعدم قدرتها أمر متواصل في الدارين معا .

أما المثال الثاني فما يدعوه المشركون من دون الله كثير ومتعدد فهي كائنات متفرقة لا يتصل بعضها ببعض ، وهذا التعدد والاختلاف القرآن على لسان النبي يوسف في قوله (ياصاحبي السجن ءارباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) سورة يوسف الآية :39.

❖(بئسما .بئس ما)

المثال الأول (الوصل) قوله تعالى:(بيسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله) سورة البقرة الآية 90.

المثال الثاني (الفصل) قوله عز وجل: (وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبيس ما كانوا يعملون) سورة المائدة / الآية62.

في الآية الأولى نجد أن المعنى الذي بعهد .بيسما .هو شراء الكفر ،وهو قاسم مشترك بين الكفار، لدرجة أنهم ثبتوا عليه ولا زموه حتى صار صفة ملازمة لهم، ومتصلة بهم.

أما في الآية الثانية ففيها إشارة إلى ما يقوم به هؤلاء من أعمال متعددة ومتفرقة فتارة يبادرون إلى الإثم ، وتارة إلى العدوان ، ومرة يأكلون السحت ، وهكذا..

من خلال ما سبق يتضح أن ظاهرة الفصل والوصل. في القرآن لها دلالات عميقة، ولطائف جليلة تؤيد ما اتصف به القرآن من إعجاز ، لذا ينبغي التأكيد على أن مجيء بعض الكلمات في القرآن مخالفة لقواعد الإملاء المعهودة لدى الناس لا يطعن في كتاب الله، لأن وراء ذلك أسرار ومعاني ومنها عرف ومنها ما لم يعرف.

مختارات من مجموعة رسائل الإمام الغزالي

آداب الأيسر

لايؤمل فرجا من غير الله تعالى ، ولا يذل نفسه في معصية الله تعالى، ولا ييأس من روح الله تعالى، ويجمع همه بين يدي الله تعالى، ويعلم أنه بعين الله، ولا ينبسط في مال العدو بما لا يبيحه الله ، ولا يفرغ إلى غير الله تعالى.

آداب الجامعة

قال بعض الحكماء:

من الأدب : الق صديقك وعدوك بوجه الرضاء من غير ذلة لهم، ولا هيبة منهم، وتوقر من غير كبر، وكن في جميع أمورك في أوساطها، ولا تنظر في عطفيك ولا تكثر الالتفات ، ولا تقف على الجماعات، وإذا جلست فترفع وتحذر من تشبيك أصابعك، والعبث بخاتمك، وتخليل أسنانك، وإدخال يدك في أنفك، وطرد الذباب عن وجهك، وكثرة التمطي والتثاؤب، وليكن مجلسك هادئا، وكلامك مقسوما، واصغ إلى الكلام الحسن ممن يحدثك بغير إظهار عجب منك ولا مسكنة ولا إعادة، وعض عن المضاحك والحكايات ولا تحدث عن إعجابك بولدك ولا جارتك ، ولا تتصنع كما تتصنع المرأة ولا تتبذل كما يتبذل العبد.

وكن متعدلا في جميع أمورك، وتوق كثرة الكحل والإسراف في الدهن، ولا تلح في الحكايات.

ولا تعلم أهلك وولدك. فضلا عن غيرهم. عن مالك فإنهم إن رأوه قليلا هنت عليهم وإن رأوه كثيرا لم تبلغ إلى رضاهم، وأحبهم من غير عنف ، ولن لهم من غير ضعف.

وإذا خاصمت فتوفر، وتفكر في حجتك ، ولا تكثر الإشارة بيدك، ولا تجث على ركبيتك ، وإذا هدأ غضبك فتكلم.

وإن بليت بصحبة السلطان فكن منه على حذر، ولا تأمن من انقلابه عليك ، وارفق به رفقك بالصبي، وكلمه بما يشاء، وإياك أن تدخل بين وبين أهله وولده وحشمه ولو كان مستمعا لذلك.

وإياك وصديق العافية، فإنه أحد الأعداء لك. ولا تجعل مالك أكرم عليك من عرضك.

وإياك وكثرة البصاق بين الناس ، فإن صاحبه ينسب إلى التأنيث، ولا تظهر لصديقك كل ما يؤذيك فإنه متى رأى منك وقعة أعقبك العداوة.

ولا تمازح لبيبا فيحقد عليك، ولا سفيها فيجترئ عليك ، لأن المزاح يخرق الهيبة ، ويسقط المنزلة ، ويذهب ماء الوجه ،ويعقب الحزن ،ويزيل حلاوة الود، ويشين فقه الفقيه، ويجرئ السفيه، ويميت القلب ، ويباعد من الرب، ويعقب الذم،ويفسخ العزم، ويظلم السرائر ، ويميت الخواطر ، ويكثر الذنوب ، ويبين العيوب.

نسأل الله تعالى أن يهدينا فيمن هدى ، ويعافينا فيمن عافى ويتولانا فيمن تولى، ويبارك لنا فيمن أعطى، ويقينا شر ما قضى، فإنه لا راد لما قضى، ولا يعز من عادى، ولا يذل من والى.

تبارك ربنا وتعالى، نستغفره ونتوب إليه ، ونسأله أن يصلي بأفضل الصلوات كلها على عبده المصطفى، وعلى آله وأصحابه أعلام الهدى وسلم تسليما كثيرا.

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي ، آمين.

خواطر وخواطر

■الأستاذ: محمد الأخضر الريسوني

خطبة الجمعة ورسالتها التربوية

■ جلست إليه في مكان منزوي بإحدى مقاهي العاصمة وجعل يحدثني عن حياته ، ومشاكله مع بناته السبعة وحرصه على تزويجهن بأبناء الحلال وأنه في انتظار الخطاب ، لكن ملامحه سرعان ما تقلصت وهو يبادرني بسؤاله:

. هل استمعت إلى خطبة الجمعة التي ألقاها خطيب مسجد الحسن الثاني؟

أجبته

. نعم لقد استمعت إليه وهو يتحدث في خطبته عن ظاهرة العري والاختلاط الذي يتم بين المراهقين الشباب والمراهقات البنات في الشواطئ وأماكن التخييم السياحية الشيء الذي يشجع الشباب على العزوف عن الزواج . لقد قال الخطيب كلمة حق، ويجب الإصغاء إليه ، ولا أعتقد أن الآباء الحريصين على شرف بناتهن وإنقاذهن من براثن الذئاب البشرية، يقبلون من أن تضيع بناتهن بسبب النزوات الطائشة لدى شباب ضائع يتصيد فرصته في شاطئ بحر ، ويخلو بين الصخور والأحجار وبين الأمواج بفتاة محاولا الكذب عليها بوعوده المعسولة، حتى إذا قضى وطره، ذهب مسرعا لاقتناص ضحية جديدة، لذا فأنا أشد على يد هذا الخطيب الحريص على نشر التربية بين الآباء والأبناء. وحرصه على سلامة الأسرة المغربية.

سألت مرة زميلا في الإدارة التي عملت بها زمنا ، وكان في الخمسين من عمره:

. هل أنت متزوج؟

أجابني:

. ولماذا تريدني أن أبقى سجينا وتحت حكم امرأة واحدة .

سألته :

. كيف؟

. أريد لحياتي أن تكون حرة والنساء كثير يجئن ويذهبن، وفي مفكرتي وهاتفي الجوال عشرات الأسماء للنساء الصاحبات والرفيقات اللاتي يزننني بمجرد دعوة إحداهن إلى شقتي المخصصة لهن فأنا اليوم متزوج دائما وأكاد أقول لك: أنا عروس كل ليلة، فلماذا تنصحني بالزواج ياأخي؟ مالي ومشاكل امرأة تحصي أنفاسي ، وتقلق راحتي .. لا ..لا ياصاحبي أنا الآن أكرع من بحر السعادة.

إن أزمات اجتماعية حادة يعيشها مجتمعنا بسبب هذا التسيب الذي تعيشه كثير من الأسر والعائلات وعلاقة الآباء بأبنائهم ومدى التفسخ الذي يطيح بتلك العلاقة وخاصة عندما يكون الزواج ناشئا عن الطمع والكسب المادي، حينما يكون الزواج مهددا بالفشل، على أن هناك سببا آخر خطير على حياة الأسرة ، ويرجع إلى افرازات الحضارة الغربية الحديثة، التي تطلق العنان للمرأة وتركها تتحرك بحرية لا حدود لها، فتذهب إلى حيث تريد ومتى تريد ولا تسأل عما تفعل مما يدفع بعض الأزواج الغيورين إلى الحد من تلك الحرية فتنشأ عن ذلك مشاكل وخلافات قد تؤدي في أغلب الأحيان إلى الانفصال والطلاق، ويبقى الأبناء نتيجة هذا المشكل معرضين للضياع.

إن الأسرة المتكاملة ليست تلك التي تكفل لأبنائها الرعاية الاقتصادية والاجتماعية والصحية فحسب ، بل هي الأسرة التي تهيئ لهم الجو النفسي الملائم أيضا.

ولا توجد أية بدائل يمكنها أن تحل محل عطف وحنان الأم باعتبار أن الأمومة ليست وظيفة آلية وإنما هي علاقة انسانية حميمة ، وللأب دور حيوي في حياة الأبناء والذكور بالذات ، فهو النموذج والقدوة.

وإذا كان لكل زمان اعرافه وتقاليده ومفاهيمه ، وإذا كان الأبناء قد خلقوا لعصر غير عصر الآباء ، فإن هذا لا يعني التنكر الكامل للثوابت والقيم التي لا تعرف عصرا دون عصر ولا جيلا دون جيل والعدوان على القيم والعواطف الفطرية تعتبر تنكرا لفضل الآباء واتهاما لهم بالتخلف الحضاري والفكري وأنهم يهتمون بعواطف وتقاليد اجتماعية لم يعد لها مكان في عصر الماديات والاستقلال الشخصي.

القطع والظن عند الأصوليين

■ إعداد: الدكتور سعد بناصر الشتري

التعريفات الاصطلاحية للقطع

من خلال النظر في كتابات الأصوليين يجد الباحث قلة تعرضهم لتعريف القطع اصطلاحا، مكتفين بالتعريف الاصطلاحي للعلم، مع ما بين القطع والعلم من فروق ، ومن هنا حاولت استخلاص تعريفات اصطلاحية للقطع عند العلماء من ثنايا كلامهم ، موردا اللفظ الذي فهمت منه التعريف المذكور.

ويمكن استخلاص تعريف القطع اصطلاحا من ثلاثة أمور:

الأول : ما ذكره العلماء من استعمالات كلمة القطع

قال القاءاني: « القطع يستعمل في معنيين ، أحدهما : أن لا يكون ثمة احتمال أصلا ، والثاني : أن لا يكون احتمال ناشىء عن دليل.

ومن هذا الكلام يمكن أن نستخلص تعريفين اصطلاحيين للقطع:

1. القطع: هو ما يكون فيه احتمال أصلا.

2. القطع : هو ما لا يكون فيه احتمال ناشئ عن دليل.

وقال التفتازاني: « القطع يطلق على نفي الاحتمال أصلا ، وعلى نفي الاحتمال الناشئ عن دليل ، وهذا أعم من الأول ، لأن الاحتمال الناشئ عن دليل أخص من مطلق الاحتمال».

ومن هنا يمكن استخلاص تعريفين آخرين للقطع اصطلاحا:

3. القطع : هو نفي الاحتمال أصلا .

4. القطع : هو نفي الاحتمال الناشء عن دليل.

وقال علاء الدين البخاري: « قطعا تمييز أي : على وجه انقطع إرادة الغير عنه».

فيمكن استنتاج التعريف الآتي:

5. القطع هو : ما انقطع عنه إرادة غيره ، أو انقطاع إرادة الغير عنه.

الثاني : تعريفات الدليل القاطع

قال الطوفي: «القاطع يطلق تارة على مالا يحتمل النقيض، كقولنا: الواحد نصف الاثنين ، ويمتنع اجتماع الضدين ، وتارة يطلق على ما يجب امتثال موجبه قطعا ، ولا يمتنع مخالفة شرعا».

والإطلاق الثاني عنده لم يتضح لدي مراده منه، أما الأول فهو واضح ، ويمكن استنتاج تعريف للقطع منه ، بحيث يقال في تعريفه:

6. القطع هو عدم احتمال النقيض.

وقال ابن السبكي: « الدليل القطعي: ما يفيد العلم اليقيني».

وقبله قال أبو الحسين: « الدليل المقطوع عليه لابد من أن يكون مستقلا بنفسه في أن النظر فيه يوجب العلم بالمدلول ، لكن سياقه هنا في بيان شروط الدليل المقطوع عليه ، وليس لبيان تعريف القطع اصطلاحا.

وقد يفهم من كلامهما أن القطع هو العلم ، وهذا لا أظنه مرادهما، لما بين العلم والقطع من فروق ، ولعل هذا الكلام يجرني لإيراد عبارة عن الطوفي في تفسير العلم حيث يقول: « العلم هو حكم راجح جازم ».

ومن هنا استخرج تعريفا اصطلاحيا آخر للقطع:

7. القطع هو الحكم الراجح الجازم.

إلا أنه قد يجاب بأن الدليل القاطع هو ماينتج قطعا صحيحا مطابقا، فلا مانع من القول بأن القاطع يفيد العلم، وإذا وجد قطع مخالف للحقيقة فهو لم ينتج عن دليل قاطع.

الثالث: تعريف الدلالة القطعية

قال أمير بادشاه: "القطعية أي الثابتة بدليل قطعي لاشبهة فيه، أي: الشبهة الناشئة عن الدليل".

ومن هنا يمكن استنتاج تعريف اصطلاحي للقطع:

8 القطع هو الثبوت بدليل لاشبهة فيه ناشئة عن دليل.

وبعد ذكر تعريفات القطع اصطلاحا أحاول تحليل هذه التعريفات بذكر جنسها أولا، ثم أذكر قيود التعريف، وأناقش مايقبل المناقشة، لكي أستخلص تعريفا يكون أنسب التعريفات في نظري.

من خلال ماسبق يظهر لنا خمسة أجناس للتعريف، هي:

1. جعل جنس التعريف (ما)، وقد يعترض على ذلك بأنها مشتركة، قال القرافي:"لفظة (من) لفظ مشترك، وكذلك لفظ (ما) أيضا، والمشترك لايقع في الحدود لإجماله".

2. جعل جنس التعريف هو نفي الاحتمال، ولايصح تعريف الشيء بنفي ضده.

3 جعل جنس التعريف هو الانقطاع، وهذا لا يصح، لأن تعريف القطع بالانقطاع فيه دور ظاهر.

4. جعل جنس التعريف هو الحكم، لأن القاطع حاكم بثبوت ماقطع به.

5 جعل جنس التعريف هو الثبوت.

وبالنظر في هذه الأجناس لا يبقى معنا صحيحا من هذه الأجناس إلا الحكم والثبوت، والثبوت أبعد من الحكم، لأن الثبوت قد يكون في الذهن، وقد يكون في الخارج.

كما أن الإدراك يصح جعله جنسا لتعريف القطع اصطلاحا، إلا أن الإدراك جنس بعيد، لأن الإدراك يشمل إدراك الأشياء المفردة، وإدراك حكم النسبة بين شيئين، بينما الحكم إثبات أمر لآخر أو نفيه عنه، فالحكم أخص من الإدراك.

تعريفات العلماء للظن اصطلاحا

في هذا المطلب أذكر تعريفات العلماء للظن اصطلاحا ثم أتناول هذه التعريفات بالدراسة مقدما الحديث عن جنس التعريف ثم القيود فيه، ناقشا ما يقبل المناقشة، ذاكرا التعريف المختار.

١ فأقول أولا : للعلماء تعريفات متعددة بينها عوامل مشتركة وإن كان فيها اختلاف في بعض الألفاظ، ومن هنا سأذكر جميع ما وقفت عليه من هذه التعريفات.

قال أبو الحسن: « وأما الظن فهو تغليب بالقلب لأحد مجوزين ظاهري التجويز».

وقال أبو يعلى: « الظن تجويز أمرين أحدهما أقوى من الآخر»

وقال الباجي: « الظن تجويز أمرين فزائدا أحدهما أظهر من الآخر».

وقال: « الظن تجويز أمرين فما زاد فزائدا أحدهما مزية على سائرها».

وقال أبو إسحاق الشيرازي: « الظن تجويز أمرين أحدهما أظهر من الآخر، وهو تعريف أبي المعالي الجويني.

وقال أبو الخطاب: « حد الظن تجويز شيئين ، إلا أن أحدهما أظهر من الآخر.

وقال الآمدي في تعريف الظن: « ترجح أحد الاحتمالين في النفس على الآخر من غير قطع».

وقال الأسمندي: « الظن هو غلبة أحد التجويزين على الأخر في القلب والاعتقاد.»

وقال ابن قدامة: « الظن ميلها . أي النفس . بسبب»

وقال القرافي: « الظن اسم للاحتمال الراجح».

وفي الحاصل: « أن الظن هو الاعتقاد الراجح بأحد النقيضين».

وقال الطوفي: « الظن حكم راجح غير جازم».

وقال: « وأما الظن فهو رجحان أحد الاحتمالين في النفس من غير قطع، وإن شئت فقل هو الحكم الراجح غير الجازم».

وقال ابن جزي: « الظن هو الاحتمال الراجح».

وقال الأصفهاني: « الظن ما عنه ذكر حكمي يحتمل متعلقه النقيض عند الذاكر بتقديره مع كونه راجحا».

وقال الزركشي: « الظن اسم للاحتمال الراجح».

وقال عن الظن: « هو الاعتقاد الراجح من اعتقادي الطرفين.

وقال صفي الدين الهندي: « الظن هو الاعتقاد الراجح من اعتقادي الطرفين ، وكذا رجحان الاعتقاد.

كما قال: « الظن هو الاعتقاد الراجح مع تجويز النقيض»

وقال ابن النجار: « الظن ما عنه ذكر حكمي يحتمل متعلقه النقيض بتقديره، مع كونه راجحا».

وقال ابن أمير بادشاه: « الظن حكم يحتمله أي يحتمل طرفاه نقيضه عند الظان إن عرض عليه مرجوحا».

وفي جامع العلوم: « الظن هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض»

والناظر في هذه التعريفات يجد أنها تسلك مسلكين:

الأول : الإشارة إلى الاحتمالات الواردة مع بيان أن أحدهما هو الأقوى، سواء قيل: « تجويز أمرين»، أو « التردد بين طرفين»، أو « غلبة أحد التجويزين» ونحو ذلك.

الثاني : ذكر الاحتمال الراجح فقط وعدم الإشارة للمرجوح، سواء قيل: الاحتمال الراجح »، أو الحكم الراجح »، أو « اعتقاده»، أو «ماعنه ذكر حكمي»

وفي ظني أن المسلك الثاني أقوى من المسلك" الأول ، لأن الظان يغلب عليه النظر إلى الأمر الراجح، والتفاته إلى المرجوح ضعيف ، وهذا الالتفات ليس لذات المرجوح، وإنما لوقوعه مقابلا للراجح ، ومن هنا فالأولى . في نظري . أن يذكر الراجح في التعريف، ومن خلال ذكر الراجح يفهم المرجوح كما هو الحال في غالب الظنون ، ومن الأولى موافقة التعريف لحال المعرف، ومن العلماء من يرى أن الظان قد لا يرد على ذهنه إلا احتمال واحد، قال ابن قدامة: « ما للنفس سكون إليه وتصديق به وهي تشعر بنقيضه أو لا تشعر ، لكن إن شعرت به لم ينفر طبعها من قبوله فهو يسمى ظنا».

وأصحاب هذا المسلك يختلفون في جنس تعريف الظن »، وإليك مذاهبهم :

1. جعل جنس التعريف هو « الراجح»

لكن الراجح لا يتصور إلا بوجود مرجوح، وكثير من العلماء يرى أن الظان قد لا يرد عليه احتمال مرجوح.

2. جعل جنس التعريف هو الاحتمال».

لكن الأصل في لفظ الاحتمال أن يطلق على ما يرد مرجوحا ، فإطلاقه على الراجح خلاف الأصل ، والظن يراد به الراجح ، فلا يصح جعل الاحتمال جنسا في تعريف الظن.

3. جعل جنس التعريف هو الاعتقاد ، والاعتقاد وقع الاختلاف في تحديد مفهومه ، وأشهر المناهج أن الاعتقاد يراد به الإدراك الجازم.

فلا يصح جعله جنسا في التعريف.

. جعل جنس التعريف هو « الحكم » ، وهو إثبات أمر لآخر أو نفيه عنه، وقد يكون هذا الإثبات جازما وهذا ليس من الظن في شيء وقد يكون غير جازم وهو الظن.

5. جعل جنس التعريف هو « ما »

ويعترض على هذا المذهب بأن « ما» لفظ مشترك ، والمشترك لايقع في الحدود لإجماله.

ومن خلال ما سبق يترجح لدي أن أولى الألفاظ لأن يكون جنسا لتعريف الظن هو الحكم ، ويفهم من عبارة بعض العلماء حين يقولون: « الظن ماعنه ذكر حكمي » أن الحكم أمر يقع بالخارج بينما الظن أمر داخل النفس، ولكن الحكم يطلق على كل منهما.

وبعد اختيار جنس التعريف لابد من النظر في القيود المذكورة معه الإبقاء ماكان صالحا منها ، وحذف مالم يكن كذلك ، وهذه القيود هي:

1. الراجح، وهذا القيد مذكور لإخراج الشك والوهم، ولا أرى حاجة لهذا القيد، لأن الشك ليس حكما فيخرج بلفظ « الحكم ، فلا داعي لقيد آخر لإخراجه ، والوهم الاحتمال المرجوح، فليس الوهم حكما ، فلا نحتاج إلى قيد لإخراج الوهم من جنس الحكم لأنه غير داخل أصلا.

2. بالقلب ، لأن الظن صادر من القلب فلابد من تقييد تعريف الظن به، لئلا يدخل في الظن الذكر الحكمي وهو ليس من الظن في شيء.

3. لسبب، فيقيد تعريف الظن بأنه حكم لسبب لإخراج الوهم، لأنه يأتي لغير سبب، ولكن الوهم هو الاحتمال المرجوح ، وهذا الاحتمال ليس حكما ، فلا نحتاج لقيد لإخراج الوهم من جنس الحكم، لأنه ليس داخلا أصلا.

4. غير جازم ، لإخراج القطع إذ هو حكم جازم.

5. أن يحتمل متعلقه النقيض بتقديره، وأرى أن التقييد بقولنا : غير جازم يكفي عن التقييد بهذه العبارة ، مع أن الاحتمال قد يكون بالضد دون النقيض.

ومما سبق يترجح لدي أن تعريف الظن اصطلاحا هو:

. الحكم القلبي غير الجازم.

. فـ « الحكم » جنس يخرج التصورات والشكوك.

و« القلبي » قيد لإخراج حكم اللسان من غير موافقة القلب.

و« غير الجازم» قيد لإخراج القطع.

انظر: القطع والظن عند الاصوليين
ج 1 ص: 36...

أضواء على غزوة الخبط

■ إعداد الأستاذ : الطاهر قدوري

■ عديدة هي الغزوات والسرايا التي نظمت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن كانت ونسبة اهتمام المصادر بها متفاوتة ، فحديث المصادر عن غزوة بدر الكبرى لا يعادله أي حديث عن باقي الغزوات التي تمت في البدايات الأولى للدولة الإسلامية ، وربما يعود هذا الأمر للنتائج الكبيرة التي كانت لهذه الغزوة على مستقبل الدولة والدعوة الإسلاميتين.

في هذا الصدد يمكن إدراج غزوة الخبط التي يمكن تصنيفها ضمن الغزوات التي تمت على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولم تحفل المصادر بذكرها إلا لماما، ولم تسلط عليها ما يكفي من الضوء وتركت هامشا كبيرا من هذه الغزوة دون توضيح ، مما دفعنا لطرح العديد من الأسئلة حول ما حدث في هذه الغزوة.

وقبل التطرق لهذه الغزوة يجدر بنا أن نؤطرها في الزمان والمكان اللذين تمت فيهما ، فالمصادر الإخبارية والروايات الحديثية تتفق أن قائد هذه الغزوة هو الصحابي الجليل أبو عبيدة بن الجراح الذي أمره الرسول صلى الله عليه وسلم على ثلاثمائة رجل من المهاجرين والأنصار، وفيهم الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد حدد لهذه الغزوة هدفا واحدا تمثل في غزوة قبيلة جهينة، ونفوذ هذه القبيلة يمتد في شمال الحجاز وهي فرع من قضاعة في اتجاه البحر الأحمر. وقد كانت هذه الغزوة في رجب من عام ثمانية للهجرة.

وإذا كان هذا كل مايتعلق بالإطار العام لهذه الغزوة، فإن ما أثارنا فيها أن الجيش كان قد زوده الرسول صلى الله عليه وسلم بحراب تمر كان أبو عبيدة يمنح كل مشارك فيها تمرة واحدة يمتصها ويشرب عليها الماء فتكفيه طيلة يومه حتى بلغ الجوع من الجيش مبلغا عظيما اضطر معه أحد المشاركين إلى ذبح تسعة جزر ، الا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه منعه من الاستمرار في فعله هذا ، وقدعمد الصحابة إلى أكل الخبط وهو نوع من النبات كانوا يجففونه ويدقونه ثم يأكلوه ومن ثم سميت هذه الغزوة بغزوة الخبط ، وفي هذه الظروف تدخلت العناية الإلهية إذ أرسل البحر لهم بحوت عظيم ، ولم يختلف الصحابة أن هذه الحوت إنما هو ميتة إذ طفا على الماء ولم يتم اصطياده ، وقد اختلف الفقهاء في أكل هذا النوع من السمك وذلك بالنظر للطريقة والكيفية التي وجد عليها هذا السمك إلا أن أبا عبيدة تعامل مع هذه الهبة الربانية على أن جيشه وقع في حكم المضطر الذي يباح له ما لا يباح لغيره ، فقال :" ميتة ، ثم قال : لا بل نحن رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اضطررتم فكلوا.

والملاحظات التي نسجلها على هذه الغزوة منصبة أساسا على هذه الحوت الذي أكله الصحابة وهو ثلاثمائة نفر :

1. إن هذه الغزوة واردة في أغلب كتب الحديث، وإذا قرأنا سياق أحداثها في هذه الكتب فإنها لا تختلف في شيء للهم إذا استثنينا المدة التي مكث الصحابة فيها يأكلون من هذا الحوت ، فالبخاري يحدد هذه المدة في نصف الشهر، أما في صحيح مسلم نجد المدة التي قضاها الجيش تصل إلى شهر.

2. وسواء تعلق الأمر بشهر أو نصف شهر فإن السؤال الذي يطرح بحدة ألم يتعرض لحم الحوت للتعفن طوال هذه المدة؟ ألم تنبعث منه رائحة تزهد في أكله خاصة ونحن نعلم أن السمك من المواد السريعة التلف والضياع إذا لم يتدخل الإنسان بطرق معينة ليحافظ على جودتها وطرواتها.

3. لقد حمل الصحابة جزءا من لحم هذا السمك في إطار عودتهم من هذه الغزوة ولما حدثوا بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم طلب منهم أن يطعموه من هذا اللحم ، فأعطوه منه فأكله، هذا مع العلم أن المسافة من قبيلة جهينة إلى المدينة المنورة تصل إلى خمس ليل، وإذا أضفنا هذه المدة إلى تلك التي قضاها الصحابة يأكلون السمك نحصل على شهر زائد خمس ليال أو عشرون يوم حسب اختلاف الروايات ، وهي مدة طويلة يصعب معها إن لم يكن من المستحيل المحافظة على جودة السمك.

إن هذه الملاحظة الأخيرة . جودة السمك. دفعتنا إلى محاولة تبع هذه الغزوة في مصادرنا التاريخية والرجوع إلى أغلب الروايات التاريخية التي كانت قريبة في الفترة التي تمت فيها غزو الخبط ، ومحاولة فحصها علنا نجد فيها ما يمكن أن يتخذ تبريرا أو بالأحرى تفسيرا لفعل الصحابة رضوان الله عليهم مع هذه السمكة، وهل عمدوا إلى اتخاذ وسيلة للحفاظ على جودة لحم السمك؟

إلا أن أغلب الروايات التي تعاملنا معها سواء كانت روايات حديثية أم روايات تاريخية، لم تتجاوز الأحداث فيها الإطار التاريخي والمكاني الذي تمت فيه الغزوة ، مع إشارتها لهذا الحوت وتسميته بسمكة العنبر والتي كانت هدية ربانية أنقض بها الله تعالى المجاهدين من الهلاك جوعا، ومع ذلك نبقى نتمسك بروايتين لعلنا نخرج منها بفائدة، وهما رواية صحيح مسلم ورواية الطبري.

بخصوص رواية الطبري ، نشير إلى الطبري تعامل مع الحدث من زواية مؤرخ أورد الخبر كما انتهى إليه، ويلاحظ أن رواية اختلفت عن باقي الروايات الأخرى بأن حددت المدة التي مكث الجيش فيها يأكل لحم السمك في ثلاث أيام ، وإذا كانت هذه المدة تقل بشكل لافت عن المدةالزمنية التي سبق أن ذكرناها سلفا فإنها لا تمنع من تسرب بعض التعفن إلى السمك.

إلا أنه من خلال التتبع الدقيق برواية صحيح مسلم والطبري فإننا نجدهما يوردان مصطلحين في غاية الدلالة وبإمكان حسن فهمهما أن نتوصل إلى فهم حيثيات هذه الغزوة، فالطبري يستعمل كلمة " يقددون" وعملية صنع القديد كانت تتم على مستوى اللحوم للمحافظة على جودتها ، فيتم تعريض اللحوم لأشعة الشمس حتى تجف وتنصاف إليها مقادير من الملح لتخزن بعد ذلك ويتم تناولها داخل فترات معينة من السنة، ومن هذا المنطلق تبقى رواية الطبري غاية في الأهمية وعلى ضوءها يمكن فهم أن الصحابة قد تعاطوا هذه الطريقة وعيا منهم بسرعة تلف السمك ، وهذه الرواية تفيدنا في معرفة بعض السلوكات المجتمعية التي كانت سائدة في الجزيرة العربية.

أما بخصوص رواية صحيح مسلم فإنها تستعمل كلمة : وشائق" وهذه اللفظة تدل على اللحم الذي يؤخذ فيغلي لكن دون أن يصل إلى مرحلة النضج، ثم بعد ذلك يتزود منه في السفر لكن لمسافة معينة ويخضع بعد ذلك لعملية الطهي العادي فلا يتغير طعمه ويظل محافظا على طرواته وجودته.

وإذا أخذنا بهذه الرواية فكم تطلب الأمر من قدور وحطب لوشق هذه الكمية الكبيرة من لحم السمك خاصة وأن الجند كان في خروج للغزو ويتحين العدو بين الفينة والأخرى ؟ إلا أن الوشائق قد تدل كذلك على اللحم المقدد ، ومن ثم تتفق رواية الإمام مسلم ورواية الطبري، ومن ثم يمكن أن يحل لغز هذه الغزوة التي اضطر فيها الصحابة لأكل الخبط وهو نوع من النبات . فكان الصحابة يقددون لحم هذه السمكة حتى تحافظ على جودتها ، الأمر الذي ينبئ عن بعض جوانب المطبخ في شبه الجزيرة العربية.

ما يسقط في الميراث

وهاك ما يسقط في الميراث
من جملة الذكور والإناث
الجد والعم معاب للأم
وابن الأخ لها وبنت العم
والخال وابن الأخت وابن البنت
كذا بنات الأخ فافهم نعت
والخالة والعمة والعبد
أم أب الأم، كذا تقدم
وابن الزنا وابن اللعان ضفهما
معاقلا في ميراث من أبيهما
والشكر مانع من الإرث بدا
كذلك الكفر وقتل من عدا
عدم الاستغلال أيضا مانع
فهاكها جواهرا سواطع

أفعال المكلفين

اعلم وفقنا الله وإياك أن أفعال المكلفين خمسة وهي واجب ومندوب ومحرم ومكروه ومباح ، فالواجب ما في فعله ثواب وفي تركه عقاب والمندوب ما في فعله ثواب وليس في تركه عقاب والمحرم مافي تركه ثواب وفي فعله عقاب، والمكروه ما في تركه ثواب وليس في فعله عقاب، والمباح ما استوى طرفاه.

فالواجب ما يحمد فعله ويذم تاركه، والمندوب ما يحمد فاعله ولا يذم تاركه، والمحرم ما يحمد تاركه ويذم فاعله، والمباح ما استوى طرفاه. فالواحب طلب الفعل جازما بالإيمان بالله ورسوله والقواعد الخمسة والمندوب طلب الفعل طلبا غير جازم كصلاة الصبح ونحوها، والمحرم طلب الكف عن الفعل طلبا جازما كقراءة القرآن في السجود مثلا وفي الركوع .

وأما الإباحة فهي إذن الشرع في الفعل والترك معا من غير ترجيح لأحدهما عن الأخرى، فالواجب فرض، والمندوب سنة والمحرم حرام، والمكروه الكراهة ، والمباح جائز .

وألقاب الوجود ستة واجب ومفروض، ومحتوم، ولازم، ومستحق وألقاب المندوب ؟ مندوب وسنة وفعلية، وراغبية ونافلة وألقاب المحظور ثلاثة محضور وممنوع ومحرم وألقاب الكراهة اثنان كراهة تنزيه وكراهة تحريم وألقاب المباح خمسة مباح، وجائز، وسائغ، وما دون، وموسع والحمد لله.

استخرجها من مجموع بخ ع ق 1042
أبو بكر

تحليل هدية ابن منصور الحوتي للشيخ ابن يجبش التازي

■ د. ربيعة بنويس
-كلية الآداب والعلوم الإنسانية - القنيطرة

الدعوة إلى مكارم الأخلاق

فقلت : يا قليلة الأدب ، يا من انتبهت من ظهره في عقوق أشياخه قد أنجدت، فلم يظفر بحقائق علومهم ، ولم يحصل له شيء من دقائق فهومهم، أين رأيت قط من يأتي على سبيل الاختياردعه يكون ممن يعد من الصغار أو من جملة المشايخ، ألم أقل لك إن نظرك معكوس، وعقلك من فهم الحقائق منكوس، إنما يختبر الإنسان من أراد صحبته أو مصاهرته أو مرافقته في السفر أو مشاركته والأشياخ للتلامذة ليعرفوا من قرائحهم الزكية والجامدة ، فيقولون عليهم المسائل العويصة التي هي في ظاهرها مخالفة للمسائل المنصوصة ، ولذلك أبيحت الألغاز التي هي في ظاهرها صعبة المجاز، مع أنه لا يعدل في الأحكام عليها، لكن تسهل معضلات النوازل بالنسبة إليها، فيزداد عقل النفي بفهمهما قوة ، ويعلو قدره بين أقرانه ويقوه، وأصل إباحتها حديث النحلة ، كما قال بعض المشايخ الأجلة، أو لم تنظري لأدب السلف، ومن درج على هديهم من سادة الخلف ، فقد روي عن ابن عباس أنه هاب أن يسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عن مسألة نحو سنة مكملة، مرتقبا لوقت نشاطه ، مراعيا لساعة انبساطه.

وكان مالك بن أنس رضي الله عنه ، من أجل ما كسب من جلالة الهيبة والوقار ، لا يكاد يسأله إلا وأجاب سادات أصحابه الأخيار، وأنت جئت بالوقاحة والجفا ، هذا مما لا يكون والطامع في بيله عش عقله غير مسكون ، ولمثله أشار بعض الحكماء حيث قال:« من التمس أربعا بأربع ، التمس ما لا يكون «من التمس الجزار بالربا التمس مالا يكون «من التمس محبة الناس بالغلطة التمس مالا يكون ومن التمس العلم براحة الجسد ، التمس مالايكون، ومن التمس وفاء الإخوان بغير وفاء التمس مالايكون.

قالت : أما الآن ، فلا أقدر أن أسكت عن جوابك ، ولا أملك نفسي عن رد خطابك، دعه يكون بعده ماكان ، ولو سقط لي من قبلك المكان ، فما هذه النخوة التي في رأسك، وما هذا الزهو الذي في نفسك ، حتى أورثك الغفلة عن حلول رمسك ، سألتك عن مسألة واحدة ، فأنزلت نفسك منزلة التقاة من جلة الفائدة ، وصرت تنزل نفسك بين الناس منزلة مالك وعمر بن عباس ، فمن انتسب لأهل العلم ينبغي له أن يرتدي برداء أهل الحلم، ويأتزر بمئزار التواضع، ويجتنب ما يؤول إلى التدابر والتقاطع، لكن صدق الماوردي حيث قال: « العلم ثلاثة أشبار ، من نال منه شبرا تكبر وتعاظم حتى ظن أنه أنه ومن نال شبرين، تواضع وتصاغر، حتى ظن أنه أنه وأما الشبر الثالث ، فهيهات أن يناله أحد ما» ، سمعت قول ابن عطاء رضي الله عنه:« معصية أورثت ذكاء وافتقار خير من طاعة أورثت غرا واستكبار»، وكذلك الشيخ أبو مدين رضي الله عنه حيث قال : انكسار العاصي خير من صولة المطيع»، فهذه منك هفوة يخاف عليك أن تورثك أعظم جفوة سيما إن سرت بها الركبان ، وتداولها الناس في سائر البلدان، إذ النفوس مجبولة على الاقتداء ، وخصوصا بمن ظهرت عليه معالم الاهتداء، ألم تسمع لقول القائل في إشارته لمرتكب هذه الرذائل:

فبالله ما هذا الضلال وذا العما
السفلي علو العلو حضيض

الحلقة السابعة

فقلت: يا عديمة التربية، ياقليلة التوفية، ألم أقل لك إن نظرك ناقص، وعقلك بين يدي هواك راقص ، لما خالفت مولاك فيما نهى وأمر، وانعكس عند البحث تحقيق النظر ، وملكت رف الأفضل للمفضول ، وظهر منك في الكلام كثرة الفضول، وصرت تقولين منزول وغير منزول لكن ما عمل لي هذا كله إلا الخلطة التي توقع في أعظم من هذه الورطة ، ولله در القائل حيث يقول :« فلا تصحب الأردى فتردى مع الردى».

وكثرة البساط والمزاح معك ، هو الذي مع قلة الحياء جمعك، ولو امتثلت أمر الحكيم فيما أشار به العقل الزكي ، حيث قال:« وإياك وإياك المزاح فإنه يجر عليك الطفل والرجل النذلا» .

لسلمت من سفه كلامك، ومن ضعف أحلامك، لكن لا مهرب مما قضاه، ولا مهرب مما أمضاه، وما أنكرته علي يا قليلة المعرفة ، يامجبولة على السفه، لا ينكره إلا من جهل الأصول ، ولم يعرف شيئا مما احتوى عليه التنقيح والمحصول، ولم يطالع المدارك ، وكان لعلوم الأئمة غير مشارك ، ولم يدخل حظائر التفسير، ولم يك في روضات الحديث آناء الليل والنهار يسير، وأما من زاول شيئا مما ذكرنا أو سلك نهجا إلى ما أشرنا ، فإنه يتبين له الحق في كلامي ، ويلوي العنان عن ملامي ، كأني لم أسفه في معرض التعظيم لنفسي ، ولا أتكبر على أحد من أبناء جنسي، بل على وجه التدليل ، ليتبين وجه التعليل، ويكون شفاء للقلب العليل، إذا رأيت رعونة نفس في زيادة والمبادرة للاعتراض قبل التحقيق من أقبح العادة ، وذلك من سوء الأدب الذي لا يبلغ منتهاه شيء من الأدب ، لأن من أساء الأدب ظاهرا عوقب في الظاهر ، ومن أساء الأدب باطنا، رأى غب ذلك في السرائر.

قالت : ياسيدي، لقد أخطأت في اجتهادي ، والله أرجو ألا يحرمني من الأجر في قصدي ومرادي، إذ المجتهر المخطئ له أجر واحد، والمصيب له حظ آخر زائد، وكثرة حرصي إنما كان غيرة عليك ومخالفة أن يشار بنقص إليك، وهذا كما تعلم من حقوق الصحبة وآداب شروط المحبة ، فلو برز ذلك الكلام من غيري أو ذكره أحد بمحضري، فلم أدر كيف يكون حالي في الجواب ، والظاهر غير صواب ، لما أزحت عنه الإشكال ، ظهر محل النكتة وانفصل الحال، فلا تخيب بفضلك سعيي في ما سعيت، ولا تفسد نيتي بما نويت، وأقم لي عثرتي وتجاوز عن هفوتي ، لأني أبديت لك عذري ، وكشفت لك حقيقة أمري ، فلا تحدون حدو من هو في الهواء كثير الخوض، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « من لم يقل عذر المعتذر صادقا أم كاذبا لم يرد علي الحوض»

والعفو عن هفوات الإخوان من أفضل ما يتقرب به إلى الملك الديان، فاحتسب فيه الجر كما تحتسبه في صدقتك، وحذق النظر ببصيرتك أكثر مما تحذقه ببصرك ، لتهنا بجميع آرابك بظفرك ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما نقص مال من صدقة، ولا عفا رجل عن من ظلمه إلا زاده الله بها عزا» فكفى بهذا الحديث لمن فقهمه حق فهمه كنزا.

فقلت : ياعدية نفسها، ويا فتانة لأبناء جنسها، علي ترد هذه السفسطة، التي تجورين بها على من لا يعرف الأحوال على أصلها مغلطة، كيف تدعين درجة الاجتهاد ولم يظهر لك إتقان فن من العلوم بين العباد وآلاته عديدة ، ومدة نيله مديدة، وقد انقرض في هذا الإعصار إشاعته في سائر الأمصار، وهذا من الجهل المركب الذي لا يدري صاحبه أنه جاهل، ولا أنه عن الحقيقة قد نكب، ولمثلك أشار القائل:

وإذا كنت لم تدري ولم تك بالذي
يسال من يدري فكيف إذن تدري
جهلت ولم تعلم بأنك جاهل
ومن لي بأن تدري بأنك لا تدري
وإذا جئت في كل الأمور بغمة
فكن هكذا أرضا يطأك الذي يدري
ومن أعجب الأشياء أنك تدري
وأنك لا تدري بأنك لا تدري

فما رأيت عندك إلا التشدق بالكلام، الذي هو من شأن سفهاء الأحلام ، لتشمل بذلك القلوب ، وتنال نفسك مما شغفت به من حب المدح والرياسة الغرض المطلوب ، أما بلغك قول النبي صلى الله عليه وسلم: إن أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون المتشدقون». وهذا مما لا يرضاه الخاشعون الذاكرون المتصدقون، وأنت ، والله أعلم، عمارة الحانوت ، لتنفق سلعة الثناء عليك في كل البيوت، ويعاملك الخلق بالبر والإكرام والدعاء والاحترام، ويعلو قدرك بين الناس، ويذهب عنك الإفلاس.

قالت: لقد شققت علي الضمير، وأردت أن تكشف ما ستره العليم الخبير، أما بلغك قول النبي صلى الله عليه وسلم :« لايرى امرؤ من أخيه عورة فسترها عليه، إلا دخل الجنة» وقوله صلى الله عليه وسلم : يامعشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان في قلبه ، لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من تتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو كان في جوف بيته»، وقوله صلى الله عليه وسلم:« ما نزعت الرحمة إلا من شقي» ، وقال ابن عطاء الله رحمه الله تعالى ونفعنا به:« من اطلع على أسرار الناس، ولم يتخلق بالرحمة الإلهية كان اطلاعه فتنة وسببا لجر الوبال عليه ».

وما أنكرته علي من عمارة حانوتي بإظهار علومي وطول قوتي ، فبماذا يكون عيشي بين أترابي ، وبين أعدائي وأحبابي ، أفترضى لي أن أذل لسؤالهم وأتعرض لنوالهم؟ فهذا مما لا ترضاه نفوس الأحرار ولو وضع على مفرقهم المنشار، وكذلك أشار بعضهم بقوله:

أعتاض بادل وجهتي بسؤالي
وإن نال الغنا بسؤال
غيره:
أمن بفضلك روعتي ياسيدي
يوم الرحيل ومهدلي مهادي
إني عبيد بالذنوب ملوث
مع بعد أسفاري وقلة زادي
قد مر عمري في البطالة ذاهبا
لم أرتجع عن كل وصف عاد
والنفس تطمع في علو منازل
هذا دليل للحماقة بادي
فاصفح بفضلك عن جميع معايبي
وامنن بسترك كامل ورشادي
صل الصلاة على النبي وآله
مادام حاد بالرحيل ينادي

انتهى بحمد الله تعالى وحسن عونه وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1078
السنة37
الجمعة 6 جمادى الثانية 1425 هـ
الموافق 23 يوليوز 2004 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين
لارباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال - الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق الرابطة

العدد: 1078 الجمعة 6 جمادى الثانية 1425 هـ . الموافق 23 يوليوز 2004م

الوضع الذي كانت عليه طنجة في فجر الحركة الوطنية والنظام الذي نشأ بعده

الحلقة الثانية

■ بقلم المرحوم: سماحة الشيخ محمد المكي الناصري

دفاع الحركة الوطنية عن مغربية طنجة:

لقد أخذ الوضع الشاذ الذي أقيم بطنجة على حساب المغرب والمغاربة من اهتمام الحركة الوطنية على العموم ومن اهتمامي الخاص، الشيء الكثير، فكتبت عنه عدة مقالات وألقيت في شأنه عدة محاضرات وخصصت لاتفاقية باريس التي كانت هي حجر الزاوية في النظام الدولي لمنطقة طنجة سلسلة من الأبحاث حللت فيها ما الحقته تلك الاتفاقية وذلك النظام من أضرار بالسيادة المغربية وحقوق المواطنين المغاربة وحرياتهم، وقد صدرت هذه السلسلة في جريدة "الحياة" الوطنية التي كانت تصدر بتطوان تحت عنوان "مدينة بائسة ونظام غربي" في اعداد متتابعة تحمل أرقام75.76.77، وذلك خلال شهر غشت 1935، فكان لها صدى واسع في الأوساط المغربية والأجنبية، ومن مقالاتي في الدفاع عن طنجة مقال عنوانه "كلمة حق أريد بها باطل" نشرته جريدة "الحياة" ايضا في عددها رقم64 الصادر بتاريخ 30 مايو من نفس السنة، ومما جاء في هذا المقال :"فالنظام الطنجي الحالي ليس بالنظام الذي تسيل على فراقه دموع المسلمين، بل هو حمل ثقيل على كواهل المغاربة أكثر من الجاليات الأجنبية، وهو سلاح خطير بيد خصوم الأمة المغربية، وأعداد السلطة القومية، والقائلون ببقائه يعملون في صف خصوم البلاد، وهم أبعد مايكون عن خدمة الإسلام أو خدمة السلطان أو خدمة القومية المغربية، وكل من درس النظام الطنجي الحالي على ضوء المصالح الوطنية يجده نظاما جديرا بالالغاء والتبديل من ألفه إلى يائه"

(قد حاولت كل دولة من الدول الثلاث التي اعتبرت نفسها معنية دون غيرها بالوضع في طنجة أن تنتهز كل فرصة سانحة لبسط سلطانها عليها والانفراد بها فحاولت فرنسا الحاقها بمنطقة الحماية الفرنسية الحاقا تاما، وحاولت انجلترا الحاقها بمنطقة جبل طارق وادماجها في استراتيجيتها الخاصة ادماجا كاملا، وحاولت اسبانيا الحاقها بمنطقة حمايتها على الأقل إذا لم يكن لها أن تضمها إلى ماتطلق عليه اسم "الممتلكات الاسبانية" في شمال المغرب، وانتهى الصراع بين هذه المطامع المتعارضة مؤقتا إلى الاتفاق على النظام الذي حددته اتفاقية باريس الموقعة سنة 1923، وظلت فكرة ضم طنجة إلى الحماية الفرنسية، وإلى ماتعتبره من ممتلكاتها تراود الحكومات الاسبانية المتوالية، وبمجرد مما بدأت الحرب العالمية الثانية، واخذت بوادر انتصار المحور تبدو في الأفق أخذت طبول الدعاية الاسبانية تدق على نغمة "طنجة يجب أن تكون اسبانية" وتولت الاقامة العامة القيام بجس النبض لدى القصر الخليفي والهيئات الوطنية القائمة في الشمال حول امكانية ضم طنجة مع شريطها الساحلي الممتد حتى شاطئ سبتة إلى سبتة وضاحيتها، لتصبح جزءا لايتجزأ مما يسمى منطقة "الممتلكات الاسبانية" وذلك مقابل ماتعتبره اسبانيا تنازلا منها عن منطقة مليلية واعادتها إلى المغرب، فكان الرفض المطلق من جانب سمو الخليفة وزعماء الحركة الوطنية لهذا العرض الاسباني السخيف وعلاوة على الأجوبة القاطعة التي تلقتها الاقامة العامة الاسبانية شنت صحيفة "الوحدة المغربية" وصحيفة "الحرية" وصحيفة "الريف" حملة واسعة النطاق للدفاع عن مغربية طنجة الدائمة والباقية إلى الأبد، ولابطال المزاعم الاسبانية التي لاأساس لها، وخلال هذه الفترة مرت طنجة بمرحلتين:

المرحلة الأولى احتلال طنجة بقرار اسباني صرف، غداة استسلام الجيش الفرنسي للقوات الألمانية، وقيام السلطة الاسبانية بحل جميع المؤسسات التابعة للنظام الدولي، وكانت مرحلة خطيرة يكتسيها الغموض من جانب الاسبان، والقلق المتزايد على مستقبل طنجة من جانب المغاربة، والمرحلة الثانية دخول سمو الخليفة إليها مصحوبا بالقوات المغربية التابعة له، وضم طنجة الصريح إلى المنطقة الخليفية ونظامها الاداري المعمول به فيها، وكان ذلك تراجعا من الاسبان عن خطتهم الأولى، وتجاوبا مع الرأي العام المغربي والموقف المغربي الموحد المتمسك بمغربية طنجة، والرافض للتنازل عن أي شبر من التراب الوطني، وكان دخول سمو الخليفة المرحوم مولاي الحسن بن المهدي إلى طنجة صبيحة يوم الجمعة 22 صفر الخير عام1360موافق 21 مارس 1941 وقد أصدرت جريدة "الوحدة المغربية" عددا ممتازا بتلك المناسبة توجته بمقال افتتاحي يعبر عن تفاؤل المواطنين واستبشارهم تحت عنوان "من الفرقة إلى الوحدة، ومن الوحدة الصغرى إلى الوحدة الكبرى"وختمته بالحديث عن جلالة الملك محمد الخامس مؤكدة "انه لاشيء أحب إلى جلالته من تحقيق وحدة العرش واعلان وحدة الشعب، وليس يوم أعز عليه من اليوم الذي ينمحي فيه آخر حد داخل تراب المغرب وتتم على أكمل وجه وحدة المغرب، ويعلن للعالم أجمع حرية الشعب المغربي واستقلال المغرب وتعود العائلة العلوية المالكة تاجا وهاجا على رأس المغرب".

مبادرة الحركة الوطنية في الشمال بفتح فروعها في طنجة

لقد كان ضم طنجة إلى النظام الاداري القائم في المنطقة الخليفية تحت اشراف سمو خليفة جلالة الملك بالشمال حلا مهدئا لمخاوف الحركة الوطنية وقلق المواطنين المغاربة، فقد وضع . من جهة . حدا للمطامع الاسبانية التي كانت تنادي باسبانية طنجة، وأكد مغربيتها تبعا لمغربية منطقة الشمال التي تعتبر منطقة حماية لاغير، ووضع . من جهة أخرى . حدا للسياسة الاستعمارية التي طبقتها فرنسا على المواطنين الطنجيين الذين ظلوا محرومين من جميع الحريات مهضومي الحقوق طيلة عهد النظام السابق بطنجة، ومن أجل ذلك بادرت الحركة الوطنية لاستثمار هذه الفرصة النادرة، وكانت "الوحدة المغربية" أول من دخل ميدان العمل في الوسط الطنجي، فأنشأت بطنجة فرعا لمعهدها العلمي القائم بتطوان "معهد مولاي المهدي" للتعليم العربي الحديث، وفتحت ناديها الوطني والثقافي "بيت الوحدة المغربية" لجمهور المواطنين، على غرار ما هو موجود بتطوان، وبقية مدن الشمال ودعت مواطني طنجة إلى الانخراط في صفوف أعضائها العاملين، وهكذا وجد المواطنون الطنجيون في الوحدة المغربية وبقية الهيئات الوطنية متنفسا لشعورهم الوطني المكبوت، ودخلوا بشكل عملي منظم ومباشر في صميم المعركة الوطنية على غرار بقية اخوانهم في الشمال الذين كانوا لازالوا حتى ذلك الوقت يتمتعون بحظ غير قليل من الحريات العامة.

عودة النظام الدولي وصمود الحركة الوطنية

وانتهت الحرب العالمية الثانية بانتصار الحلفاء على المحور، وعاد النظام الدولي إلى طنجة مرة أخرى، لكنه وجد الجو الطنجي قد تغير عما كان عليه، فالمواطنون الطنجيون مارسوا في غيبة النظام الدولي خلال عدة سنوات، النشاط الوطني والثقافي بشيء غير قليل من الحرية، وانضموا للهيئات الوطنية العاملة، فاصبحوا جزءا لايتجزأ من مجموعها، كما أن المبادئ التي أعلنها الحلفاء أثناء الحرب العالمية الثانية وقامت على أساسها منظمة الأمم المتحدة أصبحت تعترف للشعوب المستضعفة بكثير من الحقوق، ورغما عما حاولته السياسة الفرنسية من الرجوع بطنجة إلى الوراء، والعودة إلى التمسك بمواقفها التقليدية ضد الشعور الوطني والهيآت الوطنية على غرار سياستها المتبعة بالمنطقة السلطانية، ورغما عما حاولته الادارة الدولية بتحريض من فرنسا لاقفال المراكز التابعة للحركة الوطنية، باعتبار أنها نشأت أثناء تعطيل النظام الدولي المعترف به في طنجة، فقد عمدت الحركة الوطنية في وجه تلك المحاولات ودافعت عن حقها في الوجود والعمل، طبقا لمقتضيات ميثاق الأمم المتحدة والنظام الدولي الجديد.

وتحتفظ ملفات "الوحدة المغربية" بعدد من الوثائق والتقارير حول الصراع القائم بينها وبين الادارة الدولية التي حاولت عدم الاعتراف بمؤسساتها وعملت على اقفالها جميعا، لكنها باءت بالفشل بفضل الصمود الذي واجهت به تلك المحاولات، والجو الدولي العام المتحرر نوعا ما، الذي انطبعت به فترة مابعد الحرب العالمية الثانية في منتصف الأربعينيات.

تحول طنجة إلى متنفس حر للصحافة الوطنية ومركز عام للوحدة المغربية

وإذا كانت السياسة الاسبانية في الشمال لم تدخل في حرب سافرة ضد الحركة الوطنية أثناء الحرب الأهلية بإسبانيا وفي بداية الحرب العالمية الثانية فإنها لم تلبث أن دشنت عهدا من التوتر والمواجهة مع الهيئات الوطنية منذ أن أخذت كفة الحلفاء ترجح على كفة المحور، واستمرت حدة التوتر في التصاعد كلما تقدم الحلفاء واقتربوا من النصر النهائي، ثم بلغ التوتر منتهاه عندما اضطرت اسبانيا للاعتراف من جديد بعودة النظام الطنجي السابق، وانفصلت ادارة طنجة نهائيا عن ادارة المنطقة الخليفية، وكانت هذه الفترة الاخيرة مسرحا لصراع يومي عنيف بين ادارة الحماية الاسبانية والهيئات الوطنية بالشمال، وبدلا من توسيع دائرة الحريات العامة في الميدانين السياسي والثقافي الذي كان متبعا من قبل، أصبحت تضيق الخناق على الوطنيين ومطاردة نشاطهم، والحد من حريتهم، هو الطابع السائد في العلاقات بينهم وبين الادارة الاسبانية، وفي طليعة التدابير التي اتخذتها نفس الادارة فرض الغرامات الثقيلة على الصحف الوطنية، وفرض الرقابة عليها، والقيام بحجزها، واصدار الأمر بتعطيلها، الأمر الذي اضطر "الوحدة المغربية" إلى البحث عن متنفس حر بعض الشيء خارج المنطقة الخليفية، وذلك لتحقيق غرضين اثنين: الغرض الأول: التعبير عن آرائها بحرية وموقف الحركة الوطنية عموما في الظروف الجديدة التي عرفها العالم. والغرض الثاني: عرض القضية المغربية الكبرى وطرح الحل الوطني المقترح لها أمام أنظار الرأي العام الدولي عرضا حرا من كل قيد، وكان ذلك المتنفس هو منطقة طنجة التي عاد إليها النظام الدولي معدلا بظهير 22 شتنبر 1945، وهكذا لم تمض أربعة أشهر على عودة ذلك النظام حتى عززت "الوحدة المغربية " صحيفتها الصادرة بالعربية وصحيفتها الصادرة بالاسبانية بصحيفة جديدة تصدر باللغة الفرنسية في نفس طنجة تحت عنوان : "صوت المغرب "La voix du Maroc"، وصدر أول عدد منها بتاريخ 23 يناير 1946في ظل التشريع المنظم للصحافة باللغات الاجنبية في تلك المنطقة.

وهنا ثارت ثائرة المقيم العام الاسباني، الجنرال فاريلا، ولم تهضم معدته هذا النوع من التحدي، وبعد مرور ثمانية أشهر على صدور "صوت المغرب" الذي لايخضع لأي رقابة سابقة، والذي يعبر بكامل الحرية عن الاماني الوطنية في الحرية والوحدة والاستقلال، قرر الجنرال الاسباني نفي مؤسس الوحدة المغربية وزعيمها إلى غينيا الاسبانية، إذ ذاك، والقضاء على حركته وحزبه، غير أن مؤسس الوحدة وزعيمها أعانه الله على أن يفلت من قبضة الاسبان، وتسرب بواسطة أنصاره المخلصين تحت جناح الليل إلى داخل المنطقة الطنجية في غفلة عن أعين الرقباء، وكان ذلك أواخر شهر شتنبر من نفس السنة 1946، فما وسع المقيم العام الاسباني إلا أن يأمر بإقفال مركز حزب الوحدة المغربي للحكومة والفروع التابعة له في الشمال وتعطيل صحيفته الصادرة بالعربية وأختها الصادرة بالاسبانية، لكن الوحدة المغربية كانت قد اتخذت احتياطاتها منذ عهد ضم طنجة إلى المنطقة الخليفية، فزرعت فيها مؤسساتها الوطنية والثقافية والرياضية استعدادا للطوارئ، وأصبح الانتقال من طنجة إلى تطوان بمنزلة الانتقال من منزل إلى آخر دون أن يلحق أي خلل بالجوهر والأساس.